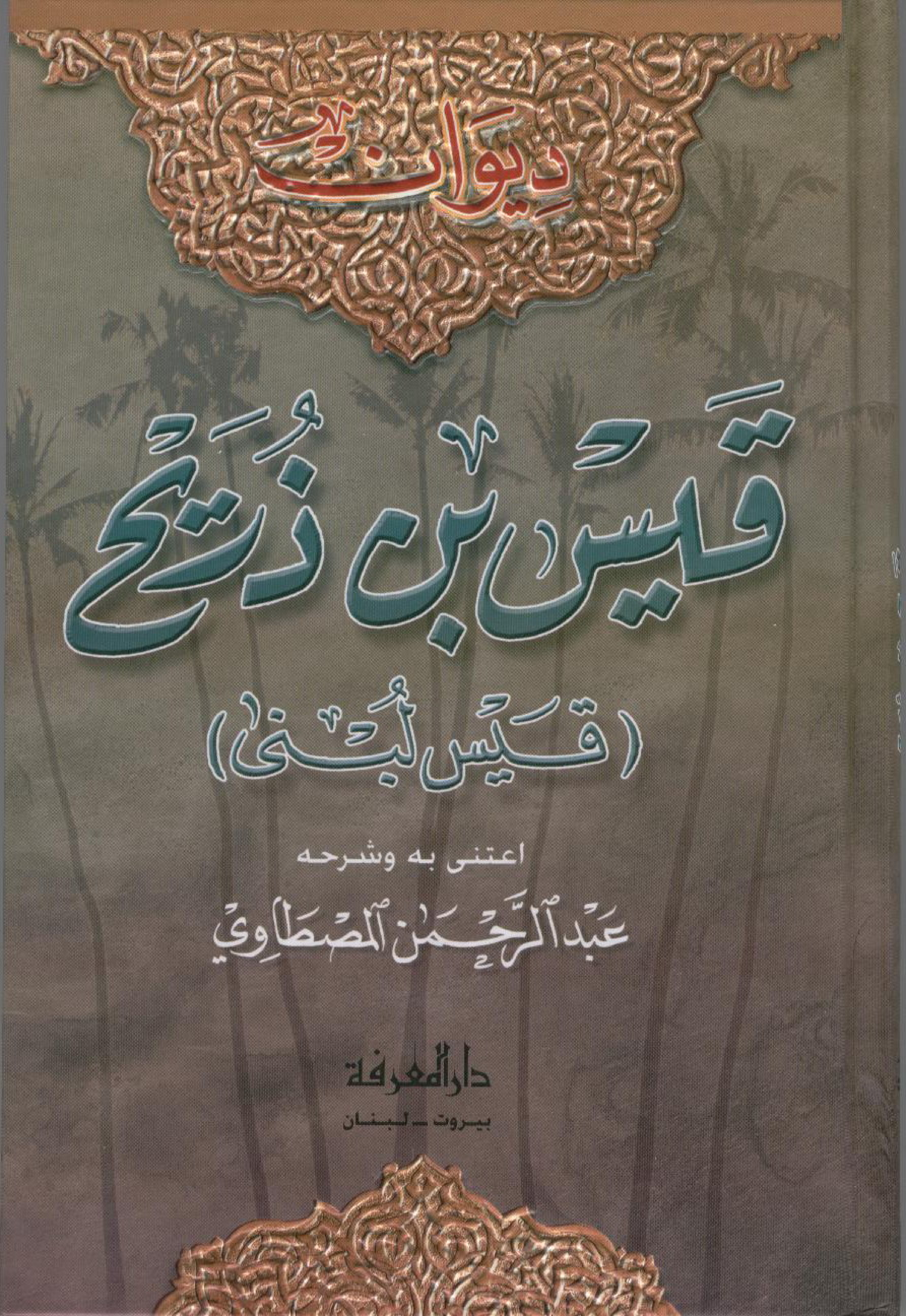
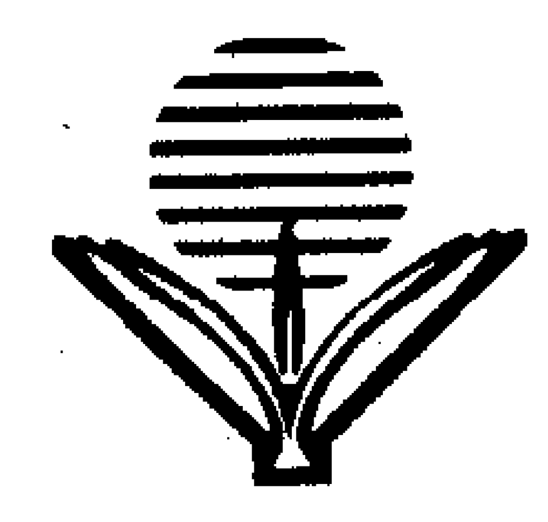


ديوان
قيس بن ذريح
(قيس لبنى)
اعتنى به وشرحه
عبد الرحمن المصطاوي
دار المعرفة
بيروت ـ لبنان

ISBN 9953 - 429 - 03 - 0

الطبعة الثانية
1425 هـ 2004م





DAR EL-MAREFAH
Publishing & Distributing

جسر المطار ـ شارع البرجاوي ـ ص.ب: ٧٨٧٦ ـ هاتف: ٨٣٤٣٠١ ـ ٨٥٨٨٣٠ ـ فاكس: ٨٣٥٦١٤ بيروت ـ لبنان
Airport Bridge, P.O.Box: 7876, Tel: 834301, 858930, Fax: 835614, Beirut-Lebanon
http//:www. marefah.com
E.mail: info@marefah.com

ديوان

قيس بن ذريح

(قيس لبنى)

اعتنى به وشرحه

عبد الرحمن المصطاوي

دار المعرفة

بيروت ـ لبنان

«ما ترك الناس شعراً مجهول القائل قيل في «ليلى» إلّا نسبوه إلى «المجنون»، ولا شعراً هذه سبيله قيل في «لُبنى» إلّا نسبوه إلى قيس بن ذَريح».

أبو عثمان الجاحظ

ملخّص

قصّة قيس لُبنى

«عاشقٌ شَفّه التبريح، ووامق لم يَشْفِه التصريح... تَيّمه حبّ لبنى، وهَيّمه هواها فما أغنى، أَضبَته حُسْناً، وسَبَته بمُحَيّا كالبدر أو أَسْنَى... جلبت له حزناً طويلاً، وجَنَت له من روض حسنها مرعى وبيلاً. تزوج بها وهو بها كَلِف، ويحبها شغف. ثم أدمن مجالستها، وأدمن مؤانستها، وولع بتأمل محاسنها، وتنقل نظره في رؤية أحاسنها، حتى طبع هواها على قلبه، وطلع أنينه بما قطع من خِلْبه. وألِف لأجلها ظل الخِباء لا يفارقه، وأنكر فضل الحياء كأنه ما دبت بخده شقائقه.

فعزّ هذا على أبيه... وطالبه بطلاقها فأبى، وأبى أبوه إلا أن يذيقه مرارة فراقها على صِبَى. ثم لما رأى إصراره على حب لبنى، واستمراره على حاله المُعنّى، أضحَر أبوه وآلى ألا يستظل ببيت حتى يلقى حبها على غاربها، ويُلحق خطاها ببيت أقاربها، وكان أوان حرّ تلفح هواجره، وينفخ بالسموم ناجره. فأقبل كهول الحي على قيس يلومونه على حقوق أبيه، ويخوفونه عقوق أمره في امرأة تُضبِيه. ثم ما برحوا به حتى طلقها. فما انطلقت إلا وهي ولبّه، وفارقها فما فارقته إلا ومعها قلبه. ووجد بها وجداً أقلق مضاجعه، وقلقل في المآقي مدامعه. وزوّجه أبوه بامرأة غيرها ليسلو لبنى، ويخلو معها أياماً ينسى بها لياليه الحسنى. فما وقعت الثانية منه موقعاً، ولا وجدت في قلبه موضعاً. فبيَّت فراقها، وبَتَّ طلاقها.

ثم الناس في قيس على قسمين: فمنهم من زعم أنه ردّها، ونعم بها ليل التمام يفترش بُرْدها؛ ومنهم - وهم الجمهور - على أنه بقي بخباله، صريعَ هوى ما أفاق، وقَريع جَوىً مُني من أحبابه بالفراق».

ابن فضل الله العُمَريّ

بين يدي الدّيوان

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

جرتِ العادة عند مؤرّخي الأدب العربي في العصر الأموي إلى تقسيم الغزل إلى: غزل عُذْري، وغزل عمريّ، وآخر تقليديّ.

ولشيوع ظاهرة الغزل في العصر الأموي أسباب كثيرة منها ما هو سياسي أو اجتماعي أو اقتصادي أو ديني، ولعل الدافع الديني هو الذي سما بالغزل العذري إلى درجة الطهارة.

والذي نريده ـ نحن ـ هو الغزل العذري (العفيف).. ويحقّ لنا أن نتساءل: لماذا اشتهر هؤلاء القوم (بنو عذرة) بالوفاء والحب العفيف؟ فهل هذا حقيقة واقعة أم أنها أضغاث أحلام؟!.

أم أن هذا صحيح ولكن الزيادات والحواشي والأطراف طغت على حقيقته؟ هذه الأسئلة ترد إلى ذهن كل من يبحث في تاريخ الأدب العربي عامة وفي تاريخ الأدب الأموي خاصة.

وسنجيب على بعض هذه التساؤلات بعد قليل، ونسأل الله السداد في القول والعمل.

قيس لبنى والديوان

أولًا - قيس ولبنى:

تتلخّص حياة قيس بن ذَريح في حبه لـ«لبنى»، ولكن شهرته دون شهرة قيس بن الملوَّح أو جميل بثينة. . .

وقصته مع «لبنى» تُقسم إلى قسمين:

الأول: قبل الزواج: وفي هذه المرحلة، يصف لنا مؤرخو الأدب وصاغة القَصص الغرامي الكيفية التي التقى بها قيس «لبناه»، ومتى أحبَّها، وتُصاغ القصص العجيبة حول هذا الموضوع، الصنعة بادية فيها.

الثاني: بعد الزواج: حيث تُعرض لك القصة ويبدو فيها قيس بن ذريح لا حول له ولا قوة أمام رأي والده، حيث أمره بطلاقها، فأمتثل لأمر والده، وطلّق زوجته، وعاش بعد ذلك حياة قلقة، وتصاغ هنا القصص العجيبة الشيّقة في هذه المرحلة من حياته.

ثانياً - الديوان:

ديوان قيس بن ذَريح (بفتحِ الذال وكسر الراء) ديوان مجموع من بطون أمهات الكتب والمصادر في المكتبة العربية.

والملاحظة الأولى على شعر قيس بن ذَريح هي كثرة الشعر المنسوب له وإن المصادر لتغصّ بهذا التناقض.

وقد أغفلنا ذكر الروايات لبعض الأبيات من شعره. قصداً. وذلك حتى لا يقع القارىء في حيص بيص كما يقولون، ولأن الدكتور حسين نصّار قام بذلك في دراسة له عن قيس ولبنى.

وإن الشعر المنسوب له تجده في ديوان مجنون ليلى، وفي ديوان جميل بثينة أو كثيِّر عزَّة. . .

والذي يجعل القارىء أو الباحث يقع في حيرة من أمره هو أن كتب القدامى: الأغاني، الشعر والشعراء، الموشح وغيرها من المصادر العربية تارة

تذكر هذه الأبيات للمجنون، ولجميل بثينة تارة أخرى، أو تذكر لك روايات من دون ترجيح لإحداها؟!!

والذي نريده هو الفن الشعري الخالص، ودراسة النفس التي نظمت هذه الدرر والمحبوبة التي فجّرت في ذلك الشاعر أعظم الأشعار.

قد كان عملنا في ديوان «قيس بن ذريح» كما يأتي:

◄ جمعنا الأشعار من مظانّها ومصادرها التي نسبتها لقيس لبنى.

◄ وكذلك جمعنا الأبيات المنسوبة لقيس لبنى.

◄ ثم رتّبنا الأشعار حسب القوافي على حروف المعجم.

◄ وقد أدرجنا الشعر المنسوب له ولغيره جنباً إلى جنب، مع الإشارة في الحاشية إلى أن هذه القصيدة تُنسب لقيس لبنى ولغيره من الشعراء.

◄ وقد قمنا بكتابة عناوين للمقطوعات الشعرية والقصائد.

قدّمنا للأشعار (الديوان) بدراسة موجزة، وأضفنا إتماماً للفائدة أخبار قيس بن ذَريح من كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني مع شيء من التهذيب.

◄ ضبطنا النص ضبطاً يكاد يكون تاماً، ووضعنا علامات الترقيم.

وأخيراً نسأل الله عز وجلّ أن ينفع بهذا العمل، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، ويغفر لنا جميعاً يوم الدين.

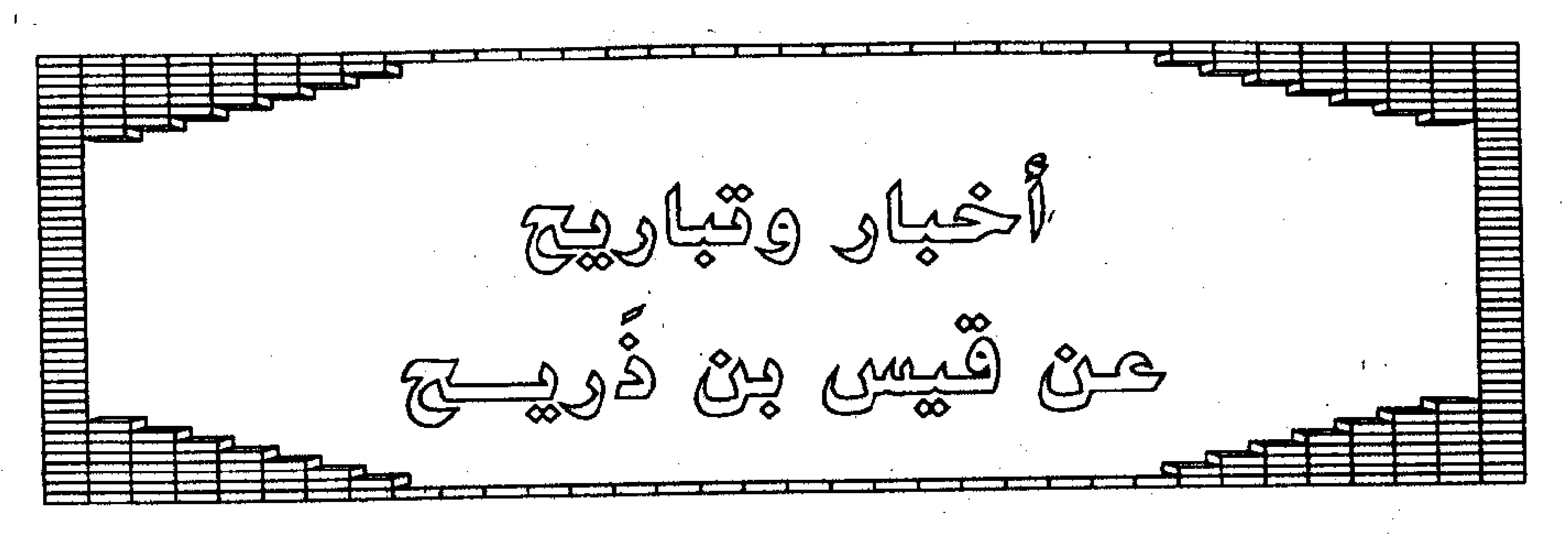
وبعد،

فهذا ما سمح به الوقت، وهذا مبلغ الجهد والطاقة، فإن أصبتُ فهذا يعني أن توفيق الرحمٰن حالفني، وإن كان غير ذلك فبالتقصير مني، وأسأل الله المغفرة والسداد في القول والعمل.

والحمد لله نهاية لا تزال تبدأ، وبدءاً لا ينتهي.

الحمد لله ربّ العالمين

عبد الرحمن



ذِكرُ قَيس بن ذَرِيح، ونَسَبه، وأخباره

[نَسَبه]:

هو، فيما ذكر الكلبيّ والقَحذميّ وغيرهما، قيس بن ذَريح بن سُنَّة بن حُذافة بن طريف بن عُتوارةَ بن عامر بن لَيث بن بكر بن عبد مَناةَ وهو عليّ بن كنانة بن خُزَيمة بن مُدرِكة بن إلياس بن مُضر بن نِزار. وذكر أبو شُراعة القَيسيّ أنه قيس بن ذَريح بن الحُباب بن سُنَّة؛ وسائر النسب متَّفق. واحتجَّ بقول قيس:

فإنْ يكُ تَهيامي بلُبنى غَوايةً ... فقد يا ذَريحُ بنَ الحُبابِ غَوَيتُ

وذكر القحذَميّ أن أمّه بنتُ سُنَّة بن الذاهِل بن عامر الخُزاعيّ، وهذا هو الصحيح؛ وأنه كان له خال يقال له عمرو بن سُنَّة شاعر، وهو الذي يقول:

ضربوا الفِيلَ بالمغمَّس حتى ... ظَلَّ يحبو كأنه محمومُ[1]

وفيه يقول قيس:

أُنبئتُ أنَّ لخالي هَجمةً حُبُساً ... كأنهن بجنبِ المَشعرِ النُّصُلُ

قد كنتَ فيما مضى قِدْماً تجاورُنا ... لا ناقةٌ لك ترعاها ولا جملُ

ما ضَرَّ خاليَ عمراً لو تقَسَّمها ... بعضُ الحياض وجَمُّ البئر مُحتفِلُ

(1) المغمس: موضع قرب مكة.

[هو رضيع الحسين بن علي ﵉]:

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثني محمد بن موسى بن حمَّاد قال: حدثني أحمد بن القاسم بن يوسف قال: حدثني جَزء بن قَطَن قال: حدثنا جسَّاس بن محمد بن عمرو أحدُ بني الحارث بن كعب، عن محمد بن أبي السَّريّ، عن هشام بن الكلبيّ قال: حدثني عدد من الكنانيِّين:

أن قيس بن ذريح كان رضيعَ الحسين بن علي بن أبي طالب ﵉، أرضعته أمّ قيس.

[أول عشقه «لبنى»، ثم زواجه بها]:

أخبرني بخبر قيس ولُبنى امرأته جماعةٌ من مشايخنا في قِصص متَّصلة ومنقطعة وأخبار منثورة ومنظومة، فألَّفتُ ذلك أجمعَ ليتَّسق حديثُه إلّا ما جاء مُفرداً وعَسُر إخراجُه عن جملة النظم فذكرته على حدة. فممَّن أخبرنا بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدثنا عمر بن شَبَّة ولم يتجاوزه إلى غيره، وإبراهيم بن محمد بن أيّوب عن ابن قُتيبة، والحسنُ بن عليّ، عن محمد بن موسى بن حمَّاد البربريّ، عن أحمد بن القاسم بن يوسف، عن جزء بن قطن، عن جَسَّاس بن محمد، عن محمد بن أبي السَّريّ، عن هشام بن الكلبيّ وعلى روايته أكثر المعوَّل. ونسختُ أيضاً من أخباره المنظومة أشياء ذكرها القحذميّ عن رجاله. وخالدُ بن كلثوم عن نفسه ومن روى عنه، وخالدُ بن جَمَل ونُتَفاً حكاها اليوسفيّ صاحبُ الرسائل عن أبيه، عن أحمد بن حمَّاد، عن جميل، عن ابن أبي جناح الكَعبيّ. وحكيت كلَّ مُتَّفِقٍ فيه متَّصلاً، وكل مختلِفٍ في معانيه منسوباً إلى راويه. قالوا جميعاً:

كان منزل قومه في ظاهر المدينة، وكان هو وأبوه من حاضِرة المدينة. وذكر خالد بن كلثوم أن منزله كان بسَرف[1]، واحتجّ بقوله:

(1) سرف: موضع قرب مكة.

الحمد لله قد أمست مُجاوِرةً أهلَ العَقيق وأمسَينا على سَرِفِ

قالوا: فمرّ قيس لبعض حاجته بخيام بني كعب بن خُزاعة، فوقف على خَيمة منها والحيّ خلوف[1] والخيمةُ خيمة لُبْنَى بنتِ الحُباب الكعبيَّة، فاستسقى ماءً، فسقتْه وخرجتْ إليه به، وكانت امرأةً مديدةَ القامةِ شَهلاءَ حُلوةَ المنظر والكلام. فلما رآها وقعتْ في نفسه، وشرب الماء. فقالت له: أتنزل فتتبرَّدَ عندنا؟ قال: نعم. فنزل بهم. وجاء أبوها فنحر له وأكرمه. فانصرف قيس وفي قلبه من لُبنى حَرٌّ لا يَطفَأ، فجعل ينطق بالشعر فيها حتى شاع ورُوي. ثم أتاها يوماً آخر وقد اشتدّ وجدُه بها، فسلَّم فظهرت له وردّت سلامَه وتحفَّت به؛ فشكا إليها ما يَجدُ بها وما يَلقى من حبّها، وشكت إليه مثلَ ذلك فأطالت، وعرف كلٌّ واحد منهما ما له عند صاحبه.

فانصرف إلى أبيه وأعلمه حاله وسأله أن يزوّجه إياها. فأبى عليه وقال: يا بنيّ، عليك بإحدى بناتِ عمك فهنّ أحقُّ بك. وكان ذَريحٌ كثير المال موسِراً، فأحبَّ ألاّ يخرج ابنه إلى غريبة. فانصرف قيس وقد ساءه ما خاطبه أبوه به. فأتى أمّه فشكا ذلك إليها واستعان بها على أبيه، فلم يجد عندها ما يحبّ.

فأتى الحسين بن علي بن أبي طالب وابنَ أبي عَتيق فشكا إليهما ما به وما ردّ عليه أبوه.

فقال له الحسين: أنا أكفيك. فمشى معه إلى أبي لُبنى. فلما بَصُر به أعظمه ووثب إليه، وقال له: يابْنَ رسول الله، ما جاء بك؟ ألا بعثتَ إليّ فأتيتُك! قال: إن الذي جئتُ فيه يُوجب قصدَك وقد جئتك خاطباً ابنتك لُبنى لقيس بن ذَريح.

فقال: يابْنَ رسول الله، ما كنّا لنَعصِيَ لك أمراً وما بنا عن الفتى رغبة،

(1) خلوف: غيب.

ولكن أَحبّ الأمرِ إلينا أن يخطُبَها ذريح أبوه علينا، وأن يكون ذلك عن أمره، فإنّا نخاف إن لم يَسعَ أبوه في هذا أن يكون عاراً وسُبَّةً علينا. فأتى الحسينُ ﷺ ذَريحاً وقومَه وهم مجتمعون، فقاموا إليه إعظاماً له وقالوا له مثل قول الخُزاعيين. فقال لذَريح: أقسمتُ عليك إلّا خطبتَ لُبنى لابنك قيس. قال: السمعَ والطاعةَ لأمرك. فخرج معه في وجوه من قومه حتى أتَوْا لُبنى فخطبها ذَريحٌ على ابنه إلى أبيها فزوجّه إيّاها، وزُفّت إليه بعد ذلك. فأقامت معه مدّة لا يُنكر أحدٌ من صاحبه شيئاً. وكان أبرَّ الناس بأمّه، فألْهته لُبنى وعكوفُه عليها عن بعض ذلك، فوجدت أمُّه في نفسها وقالت: لقد شغلتْ هذه المرأةُ ابني عن بِرّي؛ ولم تَرَ للكلام في ذلك موضعاً حتى مرِض مرضاً شديداً. فلما بَرَأ من علّته قالت أمّه لأبيه: لقد خَشيتُ أن يموت قيسٌ وما يتركُ خلَفاً وقد حُرِم الولدَ من هذه المرأة، وأنت ذو مال فيصيرُ مالك إلى الكلالة، فزوِجه بغيرها لعل الله أن يرزقه ولداً، وألَحّتْ عليه في ذلك. فأمهلَ قيساً حتى إذا اجتمع قومه دعاه فقال: يا قيس، إنك اعتللتَ هذه العلّةَ فخفتُ عليك ولا ولد لك ولا لي سواك. وهذه المرأة ليست بوَلود، فتزوَّج إحدى بناتِ عمك لعلّ الله أن يهبَ لك ولداً تَقرُّ به عينُك وأعيننا.

فقال قيس: لست متزوجاً غيرها أبداً. فقال له أبوه: فإن في مالي سَعَةً فتَسَرَّ بالإماء.

قال: ولا أسوءها بشيء أبداً والله. قال أبوه: فإني أُقسِم عليك إلّا طلّقتَها.

فأبى وقال: الموتُ والله عليّ أسهل من ذلك، ولكني أخيّرك خَصلةً من ثلاث خصال. قال: وما هي؟ قال: تتزوّج أنت فلعلَّ الله أن يرزُقك ولداً غيري.

قال: فما فيَّ فَضلة لذلك. قال: فدعني أرتحل عنك بأهلي واصنع ما كنتَ صانعاً لو متُّ في علّتي هذه. قال: ولا هذه. قال: فأدَعُ لُبنى عندك

وأرتحلُ عنك فلعلي أسلوها، فإني ما أحبّ بعد أن تكون نفسي طيّبة أنها في خيالي. قال: لا أرضى أو تطلّقها، وحلَف لا يَكُنُّه سقفُ بيت أبداً حتى يطلّق لُبنى، فكان يخرج فيقفُ في حرّ الشمس، ويجيء قيس فيقف إلى جانبه فيُظِلّه بردائه ويَصلى هو بحرّ الشمس حتى يَفيءَ الفيءُ فينصرفَ عنه، ويدخل إلى لُبنى فيعانقها وتعانقه ويبكي وتبكي معه وتقول له: يا قيس، لا تُطِعْ أباكَ فتهلِكَ وتُهلِكَني. فيقول: ما كنت لأطيعَ أحداً فيكِ أبداً. فيقال: إنه مكث كذلك سنةً. وقال خالد بن كلثوم: ذكر ابنُ عائشة أنه أقام على ذلك أربعينَ يوماً ثم طلّقها. وهذا ليس بصحيح.

[طلاقه لبنى، وندمه]:

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثني أحمد بن زهير قال: حدثني يحيى بن مَعين قال: حدثنا عبد الرزّاق قال: أخبرنا ابن جُرَيج قال: أخبرني عمر بن أبي سفيان عن ليث بن عمرو:

إنه سمع قيس بن ذَريح يقول لزيد بن سليمان: هَجرني أبواي في لُبنى عشرَ سنين أستأذِنُ عليهما فيَرُدّاني حتى طلّقتُها. قال ابن جُرَيج: وأُخبرت أن عبد الله بن صَفوان الطويل لَقيَ ذريحاً أبا قيس فقال له: ما حملك على أن فرّقتَ بينهما؟ أَما علمتَ أن عمر بن الخطاب قال: ما أُبالي أفرّقت بينهما أو مشيتُ إليهما بالسيف. وروى هذا الحديثَ إبراهيم بن يسار الرّماديّ عن سُفيان بن عُيَينة عن عمرو بن دينار قال: قال الحسين بن علي ﷺ لذريح بن سُنَّة أَبي قيس: أَحلٌ لكَ أن فرّقتَ بين قيس ولُبنى؟! أما إني سمعت عمر بن الخطاب يقول: ما أُبالي أفرّقتُ بين الرجل وامرأته أو مشيتُ إليهما بالسيف. قالوا: فلما بانت لُبنى بطلاقه إيّاها وفُرغ من الكلام، لم يَلبثْ حتى استُطِير عقلُه وذُهِب به ولحقه مثلُ الجنون. وتذكّر لُبنى وحالَها معه فأسِف وجعل يبكي ويَنشِج أحرَّ نَشيج. وبلغها الخبرُ فأرسلت إلى أبيها ليحتملها، وقيل: بل أَقامت حتى انقضت عدّتها وقيسٌ يدخل عليها. فأقبل أَبوها بهَودج على ناقة وبإِبل

تحملُ أَثاثها. فلما رأى ذلك قيس أقبل على جاريتها فقال: وَيحكِ! ما دهاني فيكم؟ فقالت: لا تسألني وسَلْ لُبنى. فذهب ليُلمَّ بخبائها فيسألها، فمنعه قومُها. فأقبلت عليه امرأة من قومه فقالت له: ما لك وَيحك تسأل كأنك جاهلٌ أو تتجاهل! هذه لُبنى ترتحل الليلةَ أو غداً. فسقط مغشياً عليه لا يَعقل ثم أَفاق وهو يقول:

وإني لـمُفـنٍ دمعَ عـيـنـيَّ بـالـبـكـا ... حِـذارَ الـذي قـد كـان أو هـو كـائـنُ
وقـالـوا غـداً أو بـعـد ذاك بـلـيـلـةٍ ... فـراقُ حبيـبٍ لـم يَـبِـنْ وهـو بـائـن
ومـا كـنتُ أخشى أن تكون منيَّتي ... بـكـفَّـيْـكِ إلّا أنَّ مـا حـان حـائـن

في هذه الأبيات غِناء ولها أخبار قد ذُكرت في أخبار المجنون. قال: وقال قيس:

يقـولـون لُبـنى فتنةٌ كـنتَ قبـلـهـا ... بـخـيـر فـلا تَـنـدَمْ عـلـيـهـا وطـلِّـقِ
فطاوعتُ أعدائي وعاصيتُ ناصحي ... وأقررتُ عين الشامت المُتخلِّق(1)
وَدِدْتُ وبـيـتِ الله أنّـي عَـصَـيـتُـهـم ... وحُمِّلت في رِضوانها كلَّ مُوبِقِ(2)
وكُلِّفتُ خوضَ البحر والبحر زاخرٌ ... أَبـيـتُ عـلـى أثـبـاج مـوج مُـغَـرِّقِ
كـأني أَرَى الـنـاسَ الـمحبِّين بعدها ... عُـصـارةَ مـاء الـحـنـظـل الـمُـتَـفَـلِّـقِ
فـتُـنـكـرُ عـيـني بـعـدهـا كـلَّ مـنـظـر ... ويـكـره سـمـعي بـعـدَهـا كـلّ مـنـطـقِ

قال: وسقط غرابٌ قريباً منه فجعل يَنعِق مراراً، فتطيَّر منه وقال:

لـقـد نـادى الـغـرابُ بـبَـيْـن لُـبـنـى ... فـطـار الـقـلـب مـن حَـذَرِ الـغـرابِ
وقـال غـداً تَـبـاعَـدُ دارُ لُـبـنـى ... وَتَـنـأى بـعـد وُدٍّ واقـتـرابِ

(1) المتخلق: الذي يتكلف ما ليس في خلقه.
(2) الموبق: المهلك.

فقلتُ تَعِستَ وَيحك من غراب   وكان الدهرَ سعيُك في تَبابِ

وقال أيضاً وقد منعه قومه من الإلمام بها:

صوت

أَلا يا غُرابَ البَيْنِ وَيحكَ نَبِّني   بعلمك في لُبنى وأَنتَ خبيرُ
فإن أنتَ لم تُخبِر بما قد علمته   فلا طِرتَ إلّا والجَناح كسيرُ
ودُرتَ بأعداءٍ حبيبُك فيهمُ   كما قد تَراني بالحبيب أدورُ

غنّى سليمان أخو حَجَبَة رملاً بالوسطى.

قالوا: وقال أيضاً وقد أُدخِلتْ هودَجها ورحلتْ وهي تبكي ويتبعُها:

صوت

أَلا يا غرابَ البينِ هل أنتَ مُخبِري   بخيرٍ كما خَبَّرتَ بالنأي والشرّ
وقلتَ كذاك الدهرُ ما زال فاجعاً   صدقتَ وهل شيءٌ بباقٍ على الدهرِ

غنّى فيهما ابن جامع ثانيَ ثقيل بالبنصر عن الهشاميّ. وذكر حبش أنَّ لقَفَا النجّار فيهما ثقيلاً أوّل بالوسطى. قالوا: فلما ارتحل قومُها اتَّبعها مَلِيّاً، ثم علم أن أَباها سيمنعه من المسير معها، فوقف ينظر إليهم ويبكي حتى غابوا عن عينه فكَرَّ راجعاً. ونظر إلى أثر خُفِّ بعيرها فأكبَّ عليه يقبّله ورجع يقبِّلُ موضعَ مجلسها وأثر قَدمِها. فلِيمَ على ذلك وعنَّفه قومُه على تقبيل التراب، فقال:

وما أحببتُ أَرضَكُم ولكن   أُقَبِّل إِثر مَن وَطِىء الترابا
لقد لاقيتُ من كَلَفي بلُبنى   بَلاءً ما أسيغ به الشَّرابا
إذا نادى المنادي باسمِ لُبنى   عَيِيتُ فما أُطيقُ له جوابا

وقال وقد نظر إلى آثارها:

صوت

أَلا يـا رَبـعَ لُـبـنـى مـا تـقـولُ　　أبِـنْ لـي الـيـومَ ما فـعـل الـحُـلـولُ
فـلـو أن الـديـارَ تُـجـيـب صَـبًّـا　　لـردّ جـوابـيَ الـرّبـعُ الـمُـحـيـل
ولـو أنّـي قـدَرتُ غـداةَ قـالـت　　غـدَرتَ ومـاءُ مُـقـلـتِـهـا يَـسـيـل
نـحـرتُ النفسَ حين سمعتُ منها　　مـقـالـتـهـا وذاك لـهـا قـلـيـل
شَفَيتُ غليلَ نفسي من فِعالي　　ولـم أَغـبُـز بـلا عـقـلٍ أَجُـول

غنّى فيه حسين بن مُحرز خفيفَ ثقيلٍ من روايتي بَذل وقُرَيض. وتمام هذه الأبيات:

كـأنّـي والِـهٌ بـفـراق لُـبـنـى　　تَـهـيـمُ بـفـقـد واحـدِهـا ثَـكـولُ
أَلا يـا قـلـبُ وَيـحـك كـن جَـلـيـداً　　فـقـد رحَـلـتْ وفـات بـهـا الـذَّميلُ[1]
فـإنـك لا تُـطـيـق رجـوعَ لُـبـنـى　　إذا رحَـلـتْ وإن كـثُـر الـعَـويـلُ
وكـم قـد عِـشـتَ كـم بـالـقـرب منها　　ولـكـنّ الـفِـراقَ هـو الـسـبـيـلُ
فـصـبـراً كـلُّ مـؤتَـلـفَـيـنِ يـومـاً　　مـن الأيـام عـيـشُـهـمـا يـزولُ

قال: فلما جنّ عليه الليلُ وانفرد وأوى إلى مضجعه لم يأخذه القرار وجعل يتململ فيه تململ السليم، ثم وثب حتى أتى موضعَ خِبائها، فجعل يتمرَّغ فيه ويبكي ويقول:

صوت

بِـتُّ والـهـمُّ يـا لُـبـيـنـى ضَـجـيـعي　　وجـرتْ مُـذ نـأيـتِ عـنـي دمـوعـي

(1) الذميل: السير اللين.

وتـنـفَّسـتُ إذ ذكـرتُـك حـتـى   زالـت الـيـومَ عـن فـؤادي ضـلـوعـي
أتـنـاسـاكِ كـي يُـريـغَ فـؤادي   ثـم يـشـتـدُّ عـنـد ذاك وَلـوعـي
يـا لُـبَـيـنَـى فَـدَتْـكِ نـفـسـي وأهـلـي   هـل لـدهـرٍ مـضـى لـنـا مـن رجـوع

غنَّت في البيتين الأولين شارِيةُ خفيفَ رملٍ بالوسطى. وغنَّى فيهما حسين بن محرز ثانيَ ثقيل، هكذا ذكر الهشاميّ، وقد قيل إنه لهاشم بن سليمان.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: قال الزُّبير بن بَكَّار: حدثني عبد الجبَّار بن سعيد المُساحِقيُّ، عن محمد بن مَعن الغِفاريّ، عن أبيه، عن عجوز لهم يقال لها حمَّادةُ بنت أبي مُسافر قالت:

جاورتُ آلَ ذَريح بقطيع لي فيه الرَّائمة وذات البَوّ والحائلُ والمُتْبِع. قالت: فكان قيسُ بن ذَريح إلى شَرَفٍ في ذلك القطيع ينظر إلى ما يَلقَين فيتعجَّب. فقلَّما لبث حتى عزم عليه أبوه بطلاق لُبنَى فكاد يموتُ، ثم آلى أَبوه لئن أقامتْ لا يساكن قيساً. فظَعَنتْ فقال:

أَيـا كـبـداً طـارتْ صُـدوعـاً نـوافـداً   ويا حَسرَتا ماذا تَغَلْغَلَ في القلبِ
فـأقـسِـمُ مـا عُـمْـشُ الـعـيـون شـوارفٌ   روائـمُ بَـوٍّ حـائـمـاتٌ عـلـى سَـقْـبِ[1]
تـشـمَّـمْـنَـه لـو يَـسـتـطِـعـن ارتـشـفـنَـه   إذا سُفْنَه يزددنَ نَكباً عـلـى نَـكـبِ
رَئِـمْـنَ فـمـا تَـنـحـاش مـنـهـنّ شـارفٌ   وحالَفْنَ حبساً في المُحول وفي الجَدْبِ
بـأَوجَـدَ مـنـي يـومَ ولَّـت حُـمُـولُـهـا   وقد طلعتْ أولى الرِّكاب من النَّقْبِ
وكـلُّ مُـلِـمَّـات الـزمـان وجـدتُـهـا   سوى فُرقةِ الأحباب هيِّنةَ الخَطبِ

أخبرني عمي قال: حدثني الكُرانيّ قال: سمعتُ ابن عائشةَ يقول: قال

(1) السقب: ولد الناقة.

إسحاق بن الفَضل الهاشميّ: لم يقل الناس في هذا المعنى مثل قول قَيس بن ذَريح:

وكلُّ مُصيبات الزمان وجدتُها سوى فُرقة الأحباب هيِّنةَ الخَطبِ

قال: وقال ابن النطّاح: قال أبو دِعامة:

خرج قيسٌ في فِتية من قومه واعتلَّ على أبيه بالصيد، فأتى بلاد لُبنى، فجعل يتوقَّعُ أن يراها أو يرى من يُرسِل إليها. فاشتغل الفِتيانُ بالصيد؛ فلما قضَوْا وَطَرَهم منه رجعوا إليه وهو واقف، فقالوا له: قد عرفنا ما أردتَ بإخراجنا معك وإنك لم تُرِدِ الصيدَ وإنما أردتَ لقاءَ لبنى، وقد تعذَّر عليك فانصرف الآن. فقال:

وما حائماتٌ حُمنَ يوماً وليلةً على الماء يَغشَين العِصِيَّ حَوانِ
عَوافِيَ لا يَصدرن عنه لِوجهةٍ ولا هنّ من بَرْدِ الحِياض دَوانِ
يَرَينَ حَباب الماء والموتُ دونه فهنّ لأصوات السُّقاةِ رَوانِ
بأجهدَ منّي حَرَّ شوقٍ ولَوعةٍ عليكِ ولكنّ العدوّ عَداني
خليليَّ إني ميّتٌ أو مُكلِّمٌ لُبَينى بسرّي فامضِيا وذَرَاني
أنَل حاجتي وَحدي ويا رُبَّ حاجةٍ قضيتُ على هَولٍ وخوفِ جَنانِ
فإنّ أحقَّ الناسِ ألا تُجاوِزا وتطَّرِحا من لو يشاء شفاني
ومن قادني للموت حتى إذا صفَتْ مشاربُه السمَّ الذُّعافَ سقاني

قال: فأقاموا معه حتى لقِيَها، فقالت له: يا هذا، إنك متعرّضٌ لنفسك وفاضِحي. فقال لها:

صدَعتِ القلبَ ثم ذرَرتِ فيه هواكِ فليمَ فألتأم الفُطورُ[1]

(1) الفطور: الشقوق.

تَغلغلَ حيثُ لم يبلُغ شَرابٌ   ولا حزنٌ ولم يبلغ سرور

وقال القَحذميّ: حدثني أبو الوَردانِ قال: حدثني أبي قال: أَنشدتُ أبا السائب المخزوميّ قولَ قيس:

صدعتِ القلبَ ثم ذررتِ فيه   هواكِ فليم فألتأم الفطور

فصاح بجارية له سِنديَّةٍ تسمَّى زُبدةٍ فقال: أي زبدةُ عجِّلي. فقالت: أَنا أعجِن. فقال: وَيحكِ! تعالَيْ ودَعي العجين. فجاءت فقال لي: أنشِد بيتَيْ قيس، فأعدتُهما. فقال لها: يا زُبدة، أحسنَ قيس وإِلاَّ فأنت حرَّة! ارجعي الآن إلى عجينك أَدرِكيه لا يَبرُد.

[تحسّره على فراقه]:

قالوا: وجعل قيس يعاتب نفسه في طاعته أباه في طلاقه لُبنى ويقول: فألّا رحلتُ بها عن بلده فلم أرَ ما يفعل ولم يَرَني! فكان إذا فقَدني أقلع عمَّا يفعله، وإذا فقدتُه لم أتحرّج من فعله! وما كان عليّ لو اعتزلتُه وأقمت في حيِّها أو في بعض بَوادي العرب، أو عَصَيته فلم أطِعه! هذه جنايتي على نفسي فلا لومَ على أحد! وها أنذا مَيِّتٌ مما فعلته، فمن يردُّ روحي إليَّ! وهل لي سبيل إلى لُبنى بعد الطلاق؟! وكلَّما قرَّع نفسَه وأنَّبها بلونٍ من التقريع والتأنيب بكى أحرَّ بكاء وألصق خدَّه بالأرض ووضعه على آثارها ثم قال:

صوت

وَيلي وعَولي ومالي حين تُفلِتُني   من بعد ما أحرزتْ كفي بها الظَّفَرا

قد قال قلبي لطَرفي وهو يعذِله   هذا جزاؤك منّي فاكدُمِ الحجرا

قد كنتُ أنهاك عنها لو تُطاوِعُني   فاْصبِرْ فما لك فيها أجرُ من صبرا

غنّاه الغريض خفيفَ ثقيلٍ أول بالوسطى عن عمرو. وفيه لإبراهيم ثقيلٌ

أوّلُ بالوسطى عن حبش. وفي الثالث والأول خفيفُ رملٍ يقال إنه لابن الهِربِذ.

قالوا: وقال أيضاً:

بانت لُبَينَى فأنتَ اليوم متبولُ والرأي عندك بعد الحزم مخبولُ
أستودع الله لُبنى إذ تفارقني بالرغم منّي وقولُ الشيخ مفعول
وقد أراني بلبنى حقَّ مُقتنِعٍ والشمْل مجتمعٌ والحبل موصول

قال خالد بن كُلثوم: وقال:

ألا ليت لُبنى في خلاءٍ تزورني فأشكو إليها لَوعتي ثم ترجِعُ
صحا كلُّ ذي لبٍّ وكلُّ متيَّم وقلبي بلُبنى ما حَييتُ مروَّع
فيا مَن لِقلبٍ ما يُفيق من الهوى ويا مَن لعينٍ بالصَّبابة تَدمَع

قالوا: وقال في ليلته تلك:

قد قلتُ للقلب لا لُبناكَ فٱعترِفِ وٱقضِ اللُّبانةَ ما قضَّيتَ وٱنصرِفِ
قد كنت أحلف جَهداً لا أُفارقها أُفٍّ لكثرة ذاك القيل والحَلِفِ
حتى تكنَّفني الواشون فٱفتُلِتَت[1] لا تأمَنَنْ أبداً من غشّ مكتنِفِ
هيهات هيهات قد أمستْ مُجاوِرةً أهلَ العَقيق وأمسينا على سَرِفِ

- قال: وسَرِف على ستة أميال من مكة. والعقيق: واد باليمامة.

حَيٌّ يَمانُونَ والبَطحاء منزِلُنا هذا لعَمْرُك شملٌ غيرُ مؤتلِفِ

---

(1) افتلتت: أخذت بغتة.

[شعره في «لبنى» وقد رأى ظبية]:

قالوا: فلمّا أصبح خرج متوجّهاً نحوَ الطريق الذي سلكته يتنسّم روائحها، فسَنَحتْ له ظبيةٌ فقصدها فهربت منه فقال:

أَلا يا شِبهَ لُبنى لا تُراعي ولا تتيمَّمي قُلَلَ القِلاعِ

وهي قصيدة طويلة يقول فيها:

فوا كبدي وعاودني رُداعي[1] وكان فراقُ لُبنَى كالخداعِ

تكنَّفني الوُشاةُ فأزعجوني فيا لله لِلواشي المُطاعِ

فأصبحتُ الغَداةَ ألوم نفسي على شيءٍ وليس بمستطاعِ

كمغبونٍ يَعَضُّ على يديه تَبيَّنَ غَبنَه بعد البِياعِ

بدار مَضيعةٍ تركتك لُبنى كذاك الحَينُ يُهدى للمضاعِ

وقد عِشنا نَلَذُّ العيشَ حِيناً لَوَ آن الدهر للإنسان داعِ

ولكنّ الجميعَ إلى افتراقٍ وأسبابُ الحُتوفِ لها دواعِ

غنَّاه الغريض من القَدر الأوسط من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لمعبد خفيفُ ثقيل أول بالوسطى عن عمرو والهشاميّ. ولشارية في البيتين الأولين ثقيلٌ أوّلَ آخر بالوسطى. ولابن سُرَيج رَملٌ بالوسطى عن الهشاميّ في:

بدارِ مَضِيعةٍ تركتُك لُبنى

وقبله:

فوا كبدي وعاودني رُداعِي

(1) الرداع: النكس، أو: وجع الجسد كله.

ولِسياطٍ في البيتين الأوّلين خفيفُ رملٍ بالبنصر عن حَبَش.

[حيلة أمّه من أجل أنْ ينسى «لبنى»]:

حدثني عمي عن الكُرانيّ عن العُتْبيّ عن أبيه قال:

بعثتْ أمُّ قيس بن ذَريح بفتيات من قومه إليه يَعِبنَ إليه لُبنى ويعِبنَه بجَزَعه وبكائه ويتعرَّضنَ لوصاله، فأتينَه فاْجتمعنَ حواليه وجعلن يمازحنَه ويعِبنَ لُبنى عنده ويعيّرنه ما يفعله. فلما أطلنَ أقبل عليهنّ وقال:

صوت

يَقرُّ بعيني قُربها ويَزيدُني ... بها كَلَفاً مَن كان عندي يَعيبُهَا

وكم قائلٍ قد قال تُبْ فعصَيتُه ... وتلك لعمري توبةٌ لا أتوبها

فيا نفسُ صبراً لستِ والله فاْعلمي ... بأوّلِ نفسٍ غاب عنها حبيبُها

- غنّاه دَحمانُ ثقيلاً أولَ بالوسطى. وفيه هَزَجٌ بالبِنصر لسُلَيم، وذكر حَبَشٌ أنه لإسحاق. قال: فاْنصرفنَ عنه إلى أمّه فأيأسنَها من سَلوته. وقال سائر الرُّواة الذين ذكرتهم: اجتمع إليه النِّسوة فأطلنَ الجلوسَ عنده ومحادثتَه وهو ساهٍ عنهنّ، ثم نادى: يا لُبنى! فقلن له: ما لكَ ويحك! فقال: خَدِرتْ رجلي، ويقال: إن دعاء الإنسان باْسم أحبِّ الناس إليه يُذهِب عنه خَدَر الرِّجل فناديتُها لذلك. فقمن عنه، وقال:

إذا خدِرتْ رجلي تذكرتُ مَن لها ... فناديتُ لُبنى باْسمِها ودعوتُ

دعوتُ التي لو أنّ نفسي تُطيعني ... لفارقتُها من حبِّها وقَضيتُ

بَرَت نبلَها للصيد لبنى وريَّشتْ ... وريَّشتُ أُخرى مثلَها وبَرَيتُ

فلمّا رمتني أقصدتْني بسهمها ... وأخطأْتُها بالسَّهم حين رميتُ

وفارقتُ لبنى ضَلَّةً فكأنني ... قُرِنت إلى العيُوق ثم هَوَيتُ

فيا ليت أني مُتُّ قبل فراقها وهل تَرجِعَنْ فوتَ القضيَّة لَيتُ
فصرتُ وشيخي كالذي عثرتْ به غَداةَ الوغى بين العُداة كُمَيتُ
فقامت ولم تُضرَر هناك سويَّةً وفارسُها تحت السَّنابكِ مَيتُ
فإن يك تَهيامي بلُبنى غَوايةً فقد يا ذَريحُ بنَ الحُباب غَويتُ
فلا أنت ما أمَّلتَ فيّ رأيتَه ولا أنا لبنى والحياةَ حَويتُ
فوطِّن لهُلكِي منك نفساً فإنَّني كأنك بي قد يا ذَريحُ قَضَيتُ

[شعره في «لبنى» أثناء مرضه، وحديثه مع الطبيب]:

وقال خالد بن كلثوم: مرِض قيس، فسأل أبوه فتياتِ الحي أن يَعُدنه ويحدِّثنه لعلَّه أن يتسلَّى أو يعلَق بعضَهن، ففعلن ذلك. ودخل إليه طبيب ليداويَه والفتياتُ معه، فلما اجتمعن عنده جعلن يحادثنه وأطلن السؤال عن سبب علَّته، فقال:

صوت

عِيدَ قيسٌ من حبِّ لُبنى ولُبنى داءُ قيسٍ والحبُّ داءٌ شديدُ
وإذا عادني العوائدُ يوماً قالت العين لا أَرى من أُريدُ
ليت لُبنى تَعودني ثم أَقضي إنها لا تعود فيمن يعود
ويح قيسٍ لقد تضمَّن منها داءَ خَبْلٍ فالقلبُ منه عميد

- غنَّاه ابن سُرَيج خَفيف رملٍ عن الهِشاميّ. وفيه للحَجبيّ ثقيلٌ أولُ بالوسطى. وفيه ليحيى المكي رمَلٌ - قالوا: فقال له الطبيب: منذُ كم هذه العلَّة؟ ومنذُ كم وَجدتَ بهذه المرأة ما وجدت؟ فقال:

صوت

تعلَّق رُوحي روحها قبل خَلقِنا ومن بعدِ ما كنَّا نِطافاً وفي المهدِ
فزاد كما زِدنا فأصبح نامياً وليس إذا مُتنا بمُنصرِمِ العهدِ
ولكنّه باقٍ على كلِّ حادثٍ وزائرنا في ظُلمة القبر واللَّحدِ

- غنّاه الغريض ثقيلاً أولَ بالوسطى من رواية حَبش - قالوا: فقال له الطبيب: إن مما يُسليك عنها أن تتذكر ما فيها من المساوىء والمعايب وما تَعافُه النفس من أقذار بني آدم: فإن النفس تنبو حينئذٍ وتسلو ويخفّ ما بها. فقال:

إذا عِبتُها شبّهتُها البدرَ طالعاً وَحسبُكَ من عيبٍ لها شَبَهُ البدرِ
لقد فُضِّلتْ لبنى على الناس مثلَ ما على ألف شهر فُضِّلتْ ليلةُ القدر

صوت

إذا ما مشت شبراً من الأرض أَرجفَتْ من البُهر حتى ما تَزيدُ على شبرِ
لها كَفَلٌ يَرتَجُّ منها إذ مشتْ ومتنٌ كغصن البان مُضطَمِرُ الخَصر

- غنى في هذين البيتين ابن المكيّ خفيفَ رَمَلٍ بالوسطى. وفيهما رمل يُنسب إلى ابن سُرَيج وإلى ابن طُنبورة عن الهِشاميّ - قالوا: ودخل أبوه وهو يخاطب الطبيب بهذه المخاطبة، فأنّبه ولامه وقال له: يا بنيّ! الله الله في نفسِك! فإنك ميّت إن دمتَ على هذا! فقال:

وفي عُروةَ[1] العُذريّ إن متُّ أُسوةٌ وعمروِ بن عَجلان الذي قتلتْ هندُ
وبي مثلُ ما ماتا به غيرَ أنني إلى أجلٍ لم يأتِني وقتُه بعدُ

(1) هو عروة بن حزام بن مهاصر أحد بني حزام بن ضبة بن عبد بن كبير بن عذرة.

صوت

هــل الـحــبُّ إلَّا عَـبـرةٌ بـعــد زفْـرةٍ   وَحـرٌّ عـلـى الأحـشـاء لـيـس لـه بَـرْدُ
وفَـيــضُ دمــوعٍ تَـسـتــهــلُّ إذا بــدا   لـنا علـمٌ من أرضكـم لـم يكـن يبدو

غنى في هذين البيتين زيد بن الخطاب مولى سليمان بن أبي جعفر، وقيل: إنه مولى سليمان بن عليّ، ثقيلاً أولَ بالوسطى عن الهِشاميّ.

وأخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير، وأخبرنا اليزيديّ عن ثَعلَب عن الزبير قال: حدثني إسماعيل بن أبي أُوَيس قال:

جلستُ أنا وأبو السائب في النبَّالين، فأنشدني قولَ قيس بن ذَريح:

عِـيدَ قـيسٌ مـن حـبِّ لُـبنـى ولُـبنـى   داءُ قَــيــسٍ والــحــبّ داءٌ شَــديــدُ
لَـيـت لُـبنـى تـعـودني ثـم أقـضـي   إنــهــا لا تــعــود فــيــمــن يــعــود

قال: فأنشدته أنا لقيس:

تـعـلَّق روحـي روحَـهـا قـبـل خَـلـقِـنـا   ومن بعد ما كنَّا نِطافاً وفي المـهـدِ
فـزاد كــمــا زِدنــا وأصــبــح نــامــيــاً   ولـيـس إذا متـنـا بـمـنـتـقِـضِ الـعـهـدِ
ولـكــنَّــه بــاقٍ عــلــى كــل حــادثٍ   وزائـرُنـا فـي ظـلـمـة الـقـبـر والـلـحـد

فحلف لا يزال يقوم ويقعد حتى يروِيَها. فدخل زُقاقَ النبَّالين وجعلتُ أُردِّدها عليه ويقوم ويقعد حتى رواها.

رجع الخبر إلى سِياقته.

[زوَّجه أبوه غيرها]:

وقال خالد بن جَمَل: فلمَّا طال على قيس ما به أشار قومه على أبيه بأن يزوِّجه امرأةً جميلة فلعلَّه أن يسلو بها عن لُبنى. فدعاه إلى ذلك فأباه وقال:

لـقـد خِـفـتُ ألّا تَـقـنَـع الـنـفـسُ بـعـدهـا   بـشـيءٍ مـن الـدنـيـا وإنْ كـان مَـقـنَـعـا

وأزجُر عنها النفس إذ حيل دونها وتأبى إليها النفسُ إلّا تطلُّعا

فأعلمهم أبوه بما ردَّ عليه. قالوا: فمُره بالمسير في أحياء العرب والنزول عليهم فلعلَّ عينه أن تقع على امرأة تُعجبه، فأقسم عليه أبوه أن يفعل، فسار حتى نزل بحيٍّ من فَزارة، فرأى جاريةً حسناء قد حسرَت برقُعَ خَزٍّ عن وجهها وهي كالبدر ليلة تِمِّه، فقال لها: ما اسمك يا جارية؟ قالت: لُبنى. فسقط على وجهه مغشيًّا عليه، فنضَحتْ على وجهه ماء وأرتاعت لِما عراه، ثم قالت: إن لم يكن هذا قيس بن ذَريح إنه لمجنون! فأفاق فنسَبَتْه فأنتسب. فقالت: قد علمتُ أنك قيس، ولكن نشَدتُك بالله وبحقّ لُبنى إلّا أصبتَ من طعامنا. وقدَّمت إليه طعاماً، فأصاب منه بإصبعه. وركب فأتى على أثَره أخٌ لها كان غائباً، فرأى مُناخ ناقته، فسألهم عنه فأخبروه، فركب حتى ردَّه إلى منزله، وحلف عليه ليُقيمنَّ عنده شهراً. فقال له: لقد شَقَقتَ عليَّ، ولكنّي سأتبع هواك، والفزاريُّ يزداد إعجاباً بحديثه وعقله وروايته، فعرض عليه الصِّهر. فقال له: يا هذا إن فيك لرغبةً، ولكنّي في شغل لا يُنتفع بي معه. فلم يزل يعاوده والحيُّ يلومونه ويقولون له: قد خشينا أن يصير علينا فعلُك سُنَّة. فقال: دعوني، ففي مثل هذا الفتى يرغب الكرام. فلم يزل به حتى أجابه وعقد الصِّهر بينه وبينه على أُخته المسماة لُبنى، وقال له: أنا أسوق عنك صَداقها. فقال: أنا والله يا أخي أكثر قومي مالاً، فما حاجتك إلى تكلُّف هذا؟ أنا سائر إلى قومي وسائق إليها المَهر. ففعل وأعلم أباه الذي كان منه، فسرَّه وساق المهرَ عنه. ورجع إلى الفزاريّين حتى أُدخلت عليه زوجته، فلم يَرَوه هَشَّ إليها ولا دنا منها ولا خاطبها بحرفٍ ولا نظر إليها. وأقام على ذلك أياماً كثيرة. ثم أعلمهم أنه يريد الخروج إلى قومه أياماً فأذِنوا له في ذلك، فمضى لوجهه إلى المدينة. وكان له صديق من الأنصار بها، فأتاه فأعلمه الأنصاريُّ أن خبر تزويجه بلغ لُبنى فغمَّها وقالت: إنه لغدَّار! ولقد كنت أمتنع من إجابة قومي إلى التزويج فأنا

الآن أُجيبهم، وقد كان أبوها شكا قيساً إلى معاوية وأعلمه تعرُّضَه لها بعد الطلاق. فكتب إلى مروان بن الحكم يُهدِر دمَه إن تعرّض لها، وأمَر أَباها أن يزوّجها رجلاً يعرف بخالد بن حِلّزة من بني عبد الله بن غَطفان. ويقال: بل أمره بتزويجها رجلاً من آل كثير بن الصَّلت الكِنديّ حليف قريش. فزوّجها أبوها منه. قال: فجعل نساء الحيّ يقلن ليلة زِفافها:

لُبينى زوجُها أصبـح لا حرَّ بِواديه
له فضلٌ على الناس بما باتت تُناجيه
وقيسٌ ميِّتٌ حيٌّ صريعٌ في بَواكيه
فلا يُبعِدُه الله وبُعداً لنَواعيه

قال: فجزِع قيس جزعاً شديداً وجعل ينشِج أحرَّ نَشيج ويبكي أحرَّ بكاء. ثم ركب من فَوره حتى أتى محلّة قومها، فناداه النساء: ما تصنع الآن ها هنا! قد نُقلتْ لُبنى إلى زوجها! وجعل الفتيانُ يعارضونه بهذه المقالة وما أشبهها وهو لا يُجيبهم، حتى أتى موضع خِبائها فنزل عن راحلته وجعل يتمعَّك[1] في موضعها ويُمرِّغ خدَّه على ترابها ويبكي أحرَّ بكاء. ثم قال:

صوت

إلى الله أشكو فَقْدَ لُبنى كما شكا إلى الله فقدَ الوالدَينِ يتيمُ
يتيمٌ جفاه الأقربون فجسمُه نَحيلٌ وعهدُ الوالدَين قديم
بكت دارُهم من نأيهم فتهلّلت دموعي فأيَّ الجازِعَينِ ألوم
أمُستعبراً يبكي من الشوق والهوى أَمَ آخرَ يبكي شَجوَه ويَهيم

(1) **يتمعّك**: يتمرّغ.

لابن جامع في البيتين الأولين ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن الهِشاميّ. ولَعريب فيهما ثاني ثقيلٍ. وفي الثالث والرابع لميَّاسَةَ خفيفُ رملٍ بالبنصر عن عمرو وحَبش والهشاميّ. وتمام هذه الأبيات، وليست فيها صنعة، قوله:

تهيَّضَني من حبّ لُبنى علائقٌ　　وأصنافُ حبٍّ هَولهن عظيمُ
ومن يتعلَّق حبَّ لبنى فؤادُه　　يَمُتْ أَو يَعِش ما عاش وهو كَليم
فإنّي وإِن أجمعتُ عنك تجلُّداً　　على العهد فيما بيننا لمقيم
وإنّ زماناً شتَّت الشملَ بيننا　　وبينكم فيه العِدا لمشُوم
أَفي الحقّ هذا أن قلبكِ فارغٌ　　صحيحٌ وقلبي في هواكِ سَقيم

وقد قيل: إن هذه الأبيات ليست لقيس وإنما خُلطت بشعره، ولكنها في هذه الرواية منسوبة إليه.

قال: وقال أيضاً في رحيل لبنى عن وطنها وانتقالها إلى زوجها بالمدينة وهو مقيم في حيِّها:

صوت

بانت لُبَيْنَى فهاج القلبَ مَن بانا　　وكان ما وعدتْ مَطلاً وَلَيَّانَا
وأَخلفتْك مُنىً قد كنتَ تأمُلها　　فأصبح القلبُ بعد البين حيرانا
الله يدري وما يدري به أحدٌ　　ماذا أُجَمْجِم من ذكراكِ أحيانا
يا أكملُ الناسِ من قرنٍ إلى قدمٍ　　وأحسنَ الناس ذا ثوبٍ وعُريانا
نعم الضَّجيعُ بُعَيد النوم تَجلبه　　إليك ممتلئاً نوماً ويَقظانا

للغريض في هذه الأبيات ثاني ثقيلٍ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاقَ وعمرو. وذكر الهشاميّ أن فيه لابن مُحرز ثانيَ ثقيل آخر. وقال أحمد بن عُبيد: فيه لحنانِ ليحيى المكّي وعَلَويه. وتمام هذه القصيدة:

لا بـارك اللهُ فيـمن كـان يحسَبُكـم إلّا على العهد حتى كان ما كانا
حتى اَستفقتُ أخيراً بعدما نُكحت كأنما كان ذاك القلب حيرانا
قد زارني طَيفُكم ليلاً فأرّقني فبِتُّ للشوق أُذري الدمع تهتانا
إن تَصرِمي الحبلَ أو تُمسي مُفارِقةً فالدهر يُحدثُ للإنسان ألوانا
وما أرى مثلكم في الناس من بَشرٍ فقد رأيتُ به حيًّا ونسوانا

[إهدار دمه]:

وقال ابن قُتَيبة في خبره عن الهَيثم بن عَديّ، ورواه عمر بن شبَّة أيضاً: أَن أبا لبنَى شخَص إلى معاوية فشكا إليه قيساً وتعرُّضه لابنته بعد طلاقه إيّاها. فكتب معاوية إلى مروانَ أو سعيدِ بن العاص يُهدِر دمه إن أَلَمَّ بها، وأَن يشتدّ في ذلك. فكتب مروان أو سعيد في ذلك إلى صاحب الماء الذي ينزله أبو لُبنَى كتاباً وَكيداً. ووجّهتْ لبنى رسولاً قاصداً إلى قيس تُعلمه ما جرى وتحذّره. وبلغ أَباه الخبرُ فعاتبه وتجهَّمه وقال له: انتهى بك الأمر إلى أن يُهدِر السلطان دمك؟ فقال:

صوت

فإن يَحجُبوها أَو يَحُلْ دون وصلها مقالةُ واشٍ أَو وَعِيدُ أَميرِ
فلن يمنعوا عينيَّ من دائم البُكا ولن يُذهبوا ما قد أَجَنَّ ضميري
إلى الله أَشكو ما أُلاقي من الهوى ومن حُرَقٍ تعتادني وزَفيرِ
ومن حَرَقٍ للحبّ في باطن الحشى وليلٍ طويلِ الحزن غيرِ قصيرِ
سأَبكي على نفسي بعينٍ غزيرةٍ بكاءَ حَزينٍ في الوَثاق أَسيرِ
وكنّا جميعاً قبل أن يظهر الهوى بأَنعَمِ حالَيْ غِبطةٍ وسرورِ
فما برِح الواشون حتى بَدَت لهم بطونُ الهوى مقلوبةً لظهورِ

لقد كنتِ حَسْبَ النفس لو دام وصلُنا ولـكـنَّـمـا الـدنـيـا مـتـاعُ غـرورِ

– هكذا في هذا الخبر أن الشعر لقيس بن ذَريح. وذكر الزُّبير بن بَكَّار أنه لجدّه عبد الله بن مُصعب ـ غنّى يزيدُ حَوراءَ في الأول والثاني والسادس والثالث من هذه الأبيات خفيفَ رملٍ بالوسطى. وغنّى إبراهيم في الأول والثاني لحناً من كتابه غيرَ مجنَّس. وذكر حبش أن فيهما لإسحاق خفيفَ ثقيلٍ بالوسطى. وفي الخامس وما بعده لعريب ثقيلٌ أوّلُ ابتداؤه نشيد. وقال ابن الكلبيّ في خبره: قال قيس في إهدار معاوية دمه إن زارها:

إن تـك لُـبـنَـى قـد أتـى دون قـربـهـا حـجـابٌ مـنـيـعٌ مـا إلـيـه سـبـيـلُ
فـإنّ نـسـيـم الـجـوّ يـجـمـع بـيـنـنـا ونُـبـصـر قَـرنَ الـشـمـس حيـن تـزول
وأرواحـنـا بـالـلـيـل فـي الـحـيّ تـلـتـقـي ونـعـلـم أنَّـا بـالـنـهـار نَـقـيـل
وتـجـمـعـنـا الأرضُ الـقَـرارُ وفـوقـنـا سـمـاء نـرى فـيـهـا الـنـجـومَ تـجـول
إلى أن يـعـود الـدهـر سَـلـماً وتـنـقـضـي تـراتٌ بـغـاهـا عـنـدنـا وذُحـول

[شعره فيها في موسم الحج]:

ومما وجد في كتابٍ لابن النطَّاح قال العُتبيّ حدثني أبي قال: حَجّ قيس بن ذَريح، واتّفق أن حجَّت لُبنَى في تلك السنة، فرآها ومعها امرأة من قومها، فدهِش وبقي واقفاً مكانه ومضت لسبيلها. ثم أرسلت إليه بالمرأة تُبلغه السلامَ وتسأله عن خبره، فألفَتْه جالساً وحده يُنشد ويبكي:

ويـومَ مِـنـىً أعـرضـتِ عـنّـي فـلـم أقـل بـحـاجـة نـفـس عـنـد لُـبـنَـى مـقـالُـهـا
وفي الـيـأس لـلـنـفـس الـمـريـضـة راحـةٌ إذا الـنـفـسُ رامـت خُـطَّـةً لا تَـنـالُـهـا

فدخلت خباءه وجعلت تحدّثه عن لُبنى ويحدّثها عن نفسه مَلِيّاً، ولم تُعلِمه أنَّ لُبنَى أَرسلتها إليه. فسألها أن تُبلغها عنه السلام، فامتنعت عليه، فأنشأ يقول:

إذا طلعتْ شمسُ النهار فسلِّمي ... فآية تسليمي عليكِ طلوعُ
بعشر تحيّات إذا الشمسُ أشرقت ... وعشرٍ إذا اصفرَّت وحان رجوعُ
ولو أبلغتْها جارةٌ قوليَ اسلَمي ... بكت جَزَعاً وارفضَّ منها دموعُ
وبانَ الذي تُخفي من الوجد في الحشى ... إذا جاءها عنّي حديث يَرُوعُ

- غنّى في البيتين الأولين عَلّويه خفيفَ رملٍ بالوسطى. قال: وقـ
الناسُ حجَّهم وانصرفوا. فمرض قيس في طريقه مرضاً شديداً أشفى منه
الموت، فلم يأته رسولها عائداً لأن قومها رأوه وعلموا به، فقال:

ألُبنى لقد جَلَّت عليكِ مصيبتي ... غَداةَ غدٍ إذ حلَّ ما أتو
تُمنينَني نَيلاً وتَلْوينَني به ... فنفسيَ شوقاً كلَّ يوم تَقَـ
وقلبكِ قَطُّ ما يَلين لما يَرى ... فوا كبدي قد طال هذا التـ
ألومُكِ في شأني وأنتِ مُليمةٌ ... لعَمري وأجفى للمحبِّ وأقـ
أخُبِّرْتِ أنّي فيكِ مَيّتُ حَسرتي ... فما فاض من عينيك للوَجد مَـ
ولكن لعمري قد بكيتُكِ جاهداً ... وإن كان دائي كلُّه منك أجـ
صَبيحةَ جاء العائداتُ يَعُدْنَني ... فظلَّت عليَّ العائداتُ تَفَـ
فقائلةٌ جئنا إليه وقد قضى ... وقائلةٌ لا، بل تركناه يَـ

وروى القَحْذَميّ ها هنا:

فما غَشِيَتْ عينيكِ من ذاك عَبرةٌ ... وعيني على ما بي بذِكراكِ
إذا أنتِ لم تَبكي عليّ جنازةٌ ... لديكِ فلا تبكي غداً حين

قال: فبلغتْها الأبياتُ، فجزعت جزعاً شديداً وبكت بكاء كثير
خرجت إليه ليلاً على موعد فاعتذرت وقالت: إنما أبقي عليك وأخـ
تُقتَل، فأنا أتحاماكَ لذلك، ولولا هذا لما افترقنا. وودّعته وانصرفتْ.

وقال خالد بن كُلثوم: فبلغه أن أَهلها قالوا لها: إنه عليل لما به وإنه سيموت في سفره هذا. فقالت لهم لتدفَعهم عن نفسها: ما أراهُ إلا كاذباً فيما يدّعي ومتعلّلاً لا عَليلاً. فبلغه ذلك فقال:

تـكـاد بـلادُ الله يـا أُمَّ مـعـمَـرٍ   بـمـا رُحبتْ يـومـاً عـلـيّ تَـضِـيـقُ
تـكـذّبـنـي بـالـودّ لُـبـنـى ولـيـتَـهـا   تُـكَـلَّـف مـنّـي مـثـلـه فـتـذوقُ
ولـو تـعـلـمـيـن الـغَـيْـبَ أيقـنـتِ أنـنـي   لـكـم والـهـدايـا الـمُـشـعَـرات صديقُ
تـتـوق إلـيـكِ الـنـفـس ثـم أرُدهـا   حـيـاءً ومـثـلـي بـالـحـيـاء حَـقـيـقُ
أَذُود سَـوامَ الـنـفـس عـنـكِ ومـا لـه   عـلـى أَحـدٍ إلا عـلـيـكِ طـريـقُ
فإني وإن حاولتِ صُرمي وهِجرتي   عـلـيـك مِـن أحـداثِ الـرَّدى لـشَـفـيـقُ
ولـم أرَ أيّـامـاً كـأيّـامـنـا الـتـي   مَـرَرنَ عـلـيـنـا والـزمـان أنـيـقُ
ووعـدُكِ إيّـانـا، ولـو قـلـتِ عـاجـلٌ،   بـعـيـدٌ كـمـا قـد تـعـلـمـيـن سَـحـيـقُ
وحـدّثـتـنـي يـا قـلـبُ أنـك صـابـرٌ   على البين من لُبنى فسوف تذوقُ
فـمُـتْ كَـمَـداً أو عِـشْ سَـقـيـمـاً فـإنـمـا   تـكـلّـفـنـي مـا لا أراكَ تُـطـيـقُ
أطـعـتَ وشـاةً لـم يـكـن لـك فـيـهُـم   خـلـيـلٌ ولا جـارٌ عـلـيـك شَـفـيـقُ
فـإن تـك لـمـا تَـسْـلُ عـنـهـا فـإنـنـي   بـهـا مُـغـرَمٌ صَـبُّ الـفـؤاد مَـشُـوقُ
بـلُـبـنـى أُنـادي عـنـد أول غَـشـيَـةٍ   ويَـثـنـي بـهـا الـدّاعـي لـهـا فـأفـيـقُ
شـهـدتُ عـلـى نـفـسـي بـأنـكِ غـادةٌ   رَداحٌ وأنّ الـوجـه مـنـكِ عَـتـيـقُ
وإنـكِ لا تُـجـزيـنَـنـي بـصَـحـابـة   ولا أنـا لـلـهـجـران مـنـكِ مُـطـيـقُ
وأنـكِ قـسَّـمـتِ الـفـؤادَ فـنـصـفُـه   رَهـيـنٌ ونـصـفٌ فـي الـحـبـال وثـيـقُ
صَبوحي إذا ما ذَرّتِ الشمسُ ذكركم   ولـي ذكـركـم عـنـد الـمـسـاء غَـبُـوقُ
إذا أنـا عَـزَّيـتُ الـهـوى أو تـركـتُـه   أتـت عَـبَـراتٌ بـالـدمـوع تَـسـوقُ

كأنَّ الهوى بين الحَيازيم[1] والحشى وبين التَّراقي واللَّهاة حَريقُ
فإن كنتِ لمَّا تَعلمي العلم فاَسألي فبعضٌ لبعضٍ في الفَعال فَؤوقُ
سَلي هل قَلاني من عَشيرٍ صحبتُه وهل مَلَّ رَحلي في الرِّفاق رفيقُ
وهل يَجتوي القومُ الكرامُ صحابتي إذا اَغبرَّ مَخشيّ الفِجاج عَميقُ
وأكتُم أسرار الهوى فأُميتها إذا باح مَزَّاحٌ بهنّ بَروقُ
سعى الدهرُ والواشون بيني وبينها فقُطِّع حبلُ الوصل وهو وثيقُ
هل الصبر إلا أن أصُدّ فلا أرَى بأرضِك إلَّا أن يكون طريقُ

[قصته مع زوج لبنى الجديد]:

قال: ثم أتى قومه فاقتطع قطعةً من إبله وأعلم أباه أنه يريد المدينة ليبيعها ويَمتارَ لأهله بثمنها. فعرَف أبوه أنه إنما يريد لبنى، فعاتبه وزجره عن ذلك؛ فلم يقبل منه، وأخذ إبله وقدِم بها المدينةَ. فبينا هو يَعرِضها إذ ساومه زوجُ لبنى بناقة منها وهما لا يتعارفان، فباعه إيَّاها. فقال له: إذا كان غدٌ فأتِني في دار كثِير بن الصَّلت فاقبِض الثمن؛ قال: نعم. ومضى زوج لبنى إليها فقال لها: إني اَبتعتُ ناقة من رجل من أهل البادية وهو يأتينا غداً ليقبض ثمنها، فأعِدّي له طعاماً، ففعلتْ. فلما كان من الغد جاء قيس فصوّت بالخادم: قولي لسيِّدك: صاحبُ الناقة بالباب. فعرفتْ لبنى نَغمتَه فلم تقل شيئاً. فقال زوجها للخادم: قولي له: ادخل، فدخل فجلس. فقالت لبنى للخادم: قولي له: يا فتى، ما لي أراك أشعثَ أغبر؟ فقالت له ذلك. فتنفَّس ثم قال لها: هكذا تكون حالُ من فارق الأحبَّة واَختار الموتَ على الحياة، وبكى. فقالت لها لبنى: قولي له حدّثنا حديثَك. فلما اَبتدأ يحدّث به كشفت الحجابَ وقالت: حَسبُك! قد عرفنا حديثَك! وأَسبلتِ الحجابَ. فبُهت ساعة لا يتكلم ثم انفجر باكياً ونهض

(1) الحيازيم: وسط الصدر.

فخرج. فناداه زوجها: ويحك ما قصَّتك؟ ارجع اقبض ثمن ناقتك، وإن شِئتَ زِدناك. فلم يكلِّمه وخرج فاْعترز في رَحلِه ومضى. وقالت لبنى لزوجها: وَيحك! هذا قيس بن ذَريح. فما حَمَلك على ما فعلتَ به؟ قال: ما عرفتُه. وجعل قيسٌ يبكي في طريقه ويندُب نفسه ويوبّخها على فعله ثم قال:

صوت

أتبكي على لبنى وأنت تركتَها ... وأنت عليها بالمَلا أنت أقدَرُ
فإن تكن الدنيا بلُبنى تقلَّبتْ ... عليَّ فللدنيا بطونٌ وأظهُرُ
لقد كان فيها للأمانة موضعٌ ... وللكَفُّ مُرتادٌ وللعين مَنظَرُ
وللحائم العطشانِ رِيٌّ بريقِها ... وللمَرح المختالِ خمرٌ ومُسكِرُ
كأني لها أُرجوحةٌ بين أَحبُلٍ ... إذا ذُكرةٌ منها على القلب تَخطُرُ

للغريض في البيتين الأولين ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن عمرو والهِشامي وفيهما لعريب رَملٌ. ولشارِيَة خفيفُ رملٍ من رواية أبي العُبَيس.

[أخبار]:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال ـ حدثنا الزُّبير بنُ بكّار قال: حدثني عبد الملك بن عبد العزيز قال:

تزوّج رجل من أهل المدينة يقال له أبو دُرَّةَ امرأةً كانت قبله عند رجل آخر من أهل المدينة يقال له أبو بُطَينة؛ فلقيه زوجها الأول فضربه ضربة شلَّت يدهُ منها. فلقيه أبو السائب المخزومي فقال له: يا أبا دُرّة! أضربكَ أبو بُطَينة في زوجته؟ قال: نعم. قال: أما إني أشهد أنها ليست كما قال قيس بن ذَريح في زوجته لُبنى:

لقد كان فيها للأمانة موضعٌ ... وللكَفُّ مُرتادٌ وللعين مَنظَرُ

وللحائم العطشان رِيٌّ بريقِها وللمَرِح المختال خمر ومُسكِر

قال: وكانت زوجة أَبي دُرَّة هذه سوداء كأنها خُنفَساء.

قال: وعاد إلى قومه بعد رؤيته إيَّاها وقد أنكر نفسه وأسِف ولحقه أمر عظيم، فأنكروه وسألوه عن حاله فلم يخبرهم؛ ومرض مرضاً شديداً أشرف منه على الموت. فدخل إليه أبوه ورجال قومه فكلّموه وعاتبوه وناشدوه الله. فقال: وَيحكم! أتُرَوني أمرضتُ نفسي أو وجدت لها سَلوةً بعد اليأس فٱخترتُ الهَمَّ والبلاء، أو لي في ذلك صُنع! هذا ما ٱختاره لي أبواي وقتلاني به. فجعل أبوه يبكي ويدعو له بالفرج والسُّلوة. فقال قيس:

لقد عذّبتَني يا حبَّ لُبنى فقعْ إمَّا بموتٍ أو حياةِ

فإنّ الموت أرْوحُ من حياةٍ تدوم على التباعد والشّتات

وقال الأقربون تَعَزَّ عنها فقلت لهم إذاً حانت وفاتي

قال: ودسَّتْ إليه لُبنى بعد خروجه رسولاً وقالت له: استنشِده، فإن سألك عن نسبتك فٱنتسِب له خُزاعياً، فإذا أنشدك فقل له: لم تزوّجتَ بعدها حتى أجابت إلى أن تتزوّج بعدك؟ وٱحفَظ ما يقول لك حتى تردَّه عليَّ. فأتاه الرسول فسلَّم وٱنتسب خُزاعيًّا، وذكر أنه من أهل الشام وٱستنشده، فأنشده قوله:

فأُقسِم ما عُمشُ العيونِ شوارِفٌ روائمُ بَوٍّ حانياتٌ على سَقْبِ

- وقد مضت هذه الأبيات. فقال له الرجل: فلم تزوّجتَ بعدها؟ فأخبره الخبر، وحلف له أنّ عينه ما اكتحلتْ بالمرأة التي تزوّجها، وأنه لو رآها في نِسوة ما عرفها، وأنه ما مدّ يدَه إليها ولا كلَّمها ولا كشف لها عن ثوب. فقال له الرجل: فإني جارٌ لها وإنها من الوَجدِ بك على حالٍ قد تمنّى زوجها معها أن تكون بقربها لتصلُح حالُها بك، فحمِّلني إليها ما شئت أؤدِّه إليها. قال: تعود إليَّ إذا أردتَ الرحيل، فعاد إليه لمَّا أراد الرحيلَ. فقال: تقول لها:

أَلاَ حيِّ لُبنى اليومَ إن كنتَ غاديا ... وألـمِـمْ بـهـا من قبـلِ أن لاَ تَـلاقِـيَـا
وأَهـدِ لـهـا منـك الـنصـيـحـةَ إنـهـا ... قـلـيـلٌ ولا تَـخـشَ الـوُشـاةَ الأدانـيـا
وقـل إنـني والـراقـصـاتِ إلـى مِـنـىً ... بـأَجـبُـل جَـمْـعٍ يـنـتـظـرنَ الـمـنـاديـا
أصـونُـكِ عـن بـعـض الأمـور مَـضَـنَّـةً ... وأخشى عليكِ الكاشحين الأعاديا
تَـسـاقـطُ نـفـسي حـين أَلـقـاكِ أنـفُـسـاً ... يَـرِدْنَ فـمـا يَـصـدُرنَ إلا صَـوادِيـا
فـإن أَخـيَ أو أَهـلِـكِ فـلـسـتُ بـزائـلٍ ... لـكـم حـافـظـاً ما بَـلَّ ريـقٌ لـسـانـيـا
أقول إذا نفسي من الوَجدِ أَصعدتْ ... بـهـا زَفـرةٌ تـعـتـادني هـي ما هـيـا
وبـين الـحشى والـنحـرِ منّي حرارةٌ ... ولوعـةُ وجد تترك القلب ساهيا:
أَلا لـيـت لُبـنى لـم تكن لـيَ خُلَّةً[1] ... ولـم تَـرَنـي لُـبـنـى ولـم أَدرِ مـا هـيـا
سَلي الناسَ هل خبَّرتُ سرَّكِ منهم ... أَخـا ثـقـةٍ أو ظـاهـرَ الـغِـشِّ بـاديـا
يقـول لـيَ الـواشـون لـمَّـا تـظـاهـروا ... عليكِ وأضحَى الحبلُ للبين واهيا:
لعمري لقبلَ اليوم حُمِّلتَ ما ترى ... وأُنذِرتَ من لُبنى الذي كنتَ لاقيا
خـلـيـليَّ مـا لـي قـد بَـلِـيـتُ ولا أَرى ... لُـبَـيـنى عـلـى الـهِـجـران إلّا كـمـا هـيـا
أَلا يـا غـرابَ الـبَـيـن مـا لـكَ كـلَّـمـا ... ذكرتُ لُبينى طِرتَ لي عن شِماليا
أعندك علمُ الغيبِ أم لستَ مُخبِري ... عـن الـحـيِّ إلا بـالـذي قـد بـدا لـيـا
جَزِعتُ عليها لو أَرى ليَ مَجزَعاً ... وأفنيتُ دمعَ العين لو كان فانيا
حـيـاتَـك لا تُـغـلَـبْ عـلـيـهـا فـإنـه ... كفى بالذي تَلقى لنفسك ناهيا
تَـمـرّ الـلـيـالـي والـشـهـور ولا أرى ... وَلُـوعـي بـهـا يـزداد إلّا تـمـاديـا
فـمـا عـن نَـوالٍ من لُـبـيـنى زيـارتـي ... ولا قِـلَّـةُ الإلـمـام أن كـنـتُ قـالـيـا

(1) خلة: صديقة.

ولكنَّها صدت وحُمّلتُ من هوىً لها ما يَؤود الشامخات الرواسيا

وهذه القصيدة تُخلَط بقصيدة المجنون التي في وزنها وعلى قافيتها لتشابههما، فقلَّما يتميّزان.

غنّى الحسين بن مُحرِز في البيت الأول والبيت الخامس من هذه القصيدة ثقيلاً أولَ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى من روايتي بَذْل والهِشاميّ.

حدثني المَدائنيّ عن عَوانة عن يحيى بن عليّ الكِنانيّ قال:

شُهِر أمرُ قيس بالمدينة وغنّى في شعره الغريض ومَعبد ومالك وذووهم، فلم يبق شريف ولا وضيع إلّا سمع بذلك فأطربه وحزِن لقيس مما به. وجاءها زوجها فأنّبها على ذلك وعاتبها وقال: قد فضحتِني بذكرك. فغضِبتْ وقالت: يا هذا، إني والله ما تزوّجتك رغبةً فيك ولا فيما عندك ولا دُلّس أمري عليك، ولقد علمتَ أنّي كنتُ زوجته قبلك وأنه أُكره على طلاقي. ووالله ما قبِلت التزويج حتى أُهدِر دمه إن ألَمَّ بحيّنا، فخشيتُ أن يحمله ما يجد على المخاطرة فيُقتَل، فتزوّجتك. وأمرُك الآن إليك، ففارِقني فلا حاجة بي إليك. فأمسك عن جوابها وجعل يأتيها بجواري المدينة يغنّينها بشعر قيس كيما يستصلحَها بذلك، فلا تزدادُ إلّا تمادياً وبُعداً، ولا تزال تبكي كلّما سمعتْ شيئاً من ذلك أحرَّ بكاء وأشجاه.

رجع الحديث إلى سِياقته.

وقال الحِرمازيُّ وخالد بن جَمَل: كانت آمرأة من موالي بني زُهرة يقال لها: بُريكة من أظرف النساء وأكرمِهنّ، وكان لها زوج من قريش له دارُ ضيافة. فلما طالت عِلّةُ قيس قال له أبوه: إني لأعلم أن شفاءك في القرب من لُبنى فأرحل إلى المدينة. فرحل إليها حتى أتى دار الضيافة التي لزوج بُريكة. فوثَب غِلمانُه إلى رَحل قيس ليحطّوه. فقال: لا تفعلوا فلستُ نازلاً أو ألقى بُريكة فإنّي قصدتها في حاجة؛ فإن وجدتُ لها عندها موضعاً نزلتُ بكم وإلّا

رحلت. فأتوها فأخبروها. فخرجتْ إليه فسلَّمتْ عليه ورحَّبت به وقالت: حاجتُك مقضيةٌ كائنةً ما كانت، فأنزِل. فنزل ودنا منها فقال: أذكُر حاجتي؟ قالت: إن شئت. قال: أنا قيس بن ذريح. قالت: حيَّاك الله وقرَّبك! إنّ ذكرك لجديدٌ عندنا في كل وقت. قال: وحاجتي أن أرى لُبنى نظرةً واحدةً كيف شئت. قالت: ذلك لك عليّ. فنزل بهم وأقام عندها وأخفت أمرَه، ثم أهدى لها هدايا كثيرةً وقال: لاطِفيها وزوجَها بهذا حتى يأنَس بِك. ففعلت وزارتها مراراً، ثم قالت لزوجها: أخبِرني عنك: أنت خيرٌ من زوجي؟ قال: لا. قالت: فلُبنى خير منّي؟ قال: لا. قالت: فما بالي أزورها ولا تزورني؟ قال: ذلك إليها. فأتتها وسألتها الزيارة وأعلمتها أن قيساً عندها. فتسارعتْ إلى ذلك وأتتها. فلما رآها ورأته بكيا حتى كادا يتلَفَان. ثم جعلت تسأله عن خبره وعِلّته فيخبرُها، ويسألها فتخبره. ثم قالت: أنشِدني ما قلتَ في علّتك؛ فأنشدها قوله:

أعالج من نفسي بَقايا حُشاشةٍ[1] ... على رَمَقٍ والعائداتُ تعودُ

فإن ذُكرتْ لُبنى هَشِشتُ لذكرها ... كما هَشَّ للثدي الدَّرورِ وَليدُ

أُجيب بلُبنى مَن دعاني تجلُّداً ... وبي زَفَراتٌ تنجلي وتعودُ

تُعيد إلى روحي الحياةَ وإنني ... بنفسيَ لو عاينتني لأجودُ

قال: وفي هذه القصيدة يقول:

صوت

ألا ليتَ أياماً مَضَيْنَ تعودُ ... فإن عُدنَ يوماً إنني لسعيدُ

سَقى دارَ لُبنى حيث حَلَّت وخَيَّمتْ ... من الأرض مُنْهَلُّ الغمام رَعودُ

(1) الحشاشة: بقية الروح في المريض.

في هذين البيتين لعَريبَ خفيفُ ثقيلٍ أول مطلق في مجرى الوسطى، وقيل: إنا لغيرها. وتمام هذه القصيدة:

على كلّ حالٍ إن دَنَت أو تباعدتْ فإن تَدنُ منّا فالدنوُّ مَزيدُ
فلا اليأسُ يُسلِيني ولا القربُ نافعي ولُبنى مَنوعٌ ما تكاد تجودُ
كأنّي من لُبنى سليمٌ مُسهَّدٌ يَظلُّ على أيدي الرجال يَميدُ
رمتني لُبينى في الفؤاد بسهمها وسهمُ لُبينى للفؤادِ صَيودُ
سلا كلُّ ذي شَجوٍ علمتُ مكانه وقلبي للبنى ما حَييتُ وَدودُ
وقائلةٍ قد مات أو هو مَيّتٌ وللنفس منّي أن تفيض رَصيدُ
أُعالج من نفسي بقايا حُشاشةٍ على رَمَقٍ والعائداتُ تعودُ

وقال الحِرمازيّ في خبره خاصّة: وعاتبته على تزوّجه؛ فحلف أنه لم ينظر إليها ملءَ عينيه ولا دنا منها، فصدّقته. وقال:

صوت

ولقد أردتُ الصبر عنكِ فعاقَني عَلَقٌ بقلبي من هواكِ قديمُ
يبقَى على حَدَثِ الزمانِ ورَيبِه وعلى جَفائكِ، إنه لكريمُ
فصَرَمتِه وصَححت وهو بدائه شَتّانَ بين مُصَحَّحٍ وسَقِيمُ
وأرَبْتِه[1] زمناً فعاذ بحلمه إنَّ المحبَّ عن الحبيب حليمُ

– لعريب في هذه الأبيات خفيفُ ثقيلٍ، وللدّارميّ خفيفُ رملٍ من رواية الهشاميّ. ومن الناس من يَنسُب خفيفَ الثقيل إليه وخفيفَ الرمل إليها. قالوا: فلم يزل يومَه معها يحدّثها ويشكو إليها أعفّ شكوى وأكرم حديث حتى

---

(1) المواربة: المخاتلة والمخادعة.

أمسى، فأنصرفت ووعدته الرجوعَ إليه من غدٍ فلم ترجع. وشاع خبره فلم تُرسل إليه رسولاً. فكتب هذه الأبيات في رُقعة ودفعها إلى بُرَيكة وسألها أن تُوصلها إليها، ورَحل متوجّهاً إلى معاوية. والأبياتُ:

صوت

بنفسيَ مَن قلبي له الدّهرَ ذاكرُ ومَن هو عنّي مُعرِضُ القلبِ صابرُ
ومَن حُبُّه يزداد عنديَ جِدَّةً وحبّي لديه مُخلِقُ العهدِ داثِرُ

- غَنَّت في هذين البيتين ضنين جاريةُ خاقان بن حامد خفيفَ رمَلٍ.
قالوا: ثم ارتحل إلى معاوية، فدخل إلى يزيد فشكا به إليه وامتدحه، فرَقّ له وقال: سَل ما شئت، إن شئتَ أن أكتبَ إلى زوجها فأُحتِّمَ عليه أن يطلّقها فعلتُ. قال: لا أريد ذلك، ولكن أحبّ أن أقيم بحيث تقيم من البلاد، أتعرَّفُ أخبارها وأقنعُ بذلك من غير أن يُهدَر دمي. قال: لو سألتَ هذا من غير أن ترحل إلينا فيه لمَا وجب أن تُمنَعَه، فأقم حيث شئت، وأخذ كتابَ أبيه له بأن يُقيم حيث شاء وأحبّ ولا يعترضَ عليه أحد، وأزال ما كان كتب به في إهدار دمه، فقدِم إلى بلده. وبلغ الفَزاريّين خبرُه وإلمامُه بلُبنى، فكاتبوه في ذلك وعاتبوه. فقال للرسول: قل للفتى (يعني أخا الجارية التي تزوّجها): يا أخي ما غرَرتُك من نفسي، ولقد أعلمتك أني مشغول عن كل أحد، وقد جعلتُ أمرَ أُختك إليك فأَمضِ فيه من حكمك ما رأيتَ. فتكرَّم الفتى عن أن يُفرّق بينهما، فمكثتْ في حِباله مدّةً ثم ماتت.

أَخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدثنا الزُّبير بن بكّار قال: حدثني سليمان بن عَيّاش السّعديّ عن أَبيه قال:

أقبلتُ ذات يوم من الغابة[1]؛ فلما كنت بالمَذاد، إذا ربعٌ حديثُ العهدِ

(1) الغابة: بريد من المدينة على طريق الشام.

بالساكن، وإذا رجل مجتمعٌ في جانب ذلك الربع يَبكي ويحدّث نفسَه. فسلّمتُ فلم يَرُدّ عليّ سلاماً. فقلت في نفسي: رجل مُلتَبَسٌ به فولّيتُ عنه. فصاح بي بعد ساعة: وعليك السلام، هَلمّ هلم إليَّ يا صاحب السلام! فأتيته فقال: أمَا واللهِ لقد فهمتُ سلامَك ولكني رجل مُشترَك اللُّبّ يَضِلُّ عنّي أحياناً ثم يعود إليّ. فقلت: ومن أنت؟ قال: قيس بن ذُريح اللَّيثيّ. قلت: صاحبُ لُبنى؟ قال: صاحبُ لُبنَى لَعمري وقتيلُها! ثم أرسل عينيه كأنهما مَزادتان، فما أَنسى حسنَ قوله:

أبائنةٌ لُبنى ولم تَقطعِ المَدى ... بوصلٍ ولا صُرمٍ فييأسَ طامعُ
نهاري نهارُ الوالهين صَبابةً ... وليلِيَ تنبو فيه عنّي المضاجعُ
وقد كنتُ قبل اليوم خِلواً وإنّما ... تُقَسَّم بين الهالكين المَصارعُ
فلولا رجاءُ القلب أن تُسعِف النَّوى ... لَمَا حبسته بينهنّ الأضالعُ
له وَجَباتٌ إثْرَ لُبنى كأنها ... شَقائقُ برقٍ في السماء لَوامِعُ
أبى الله أن يَلقَى الرشادَ مُتيَّمٌ ... ألاَ كلُّ أمرٍ حُمّ لا بُدّ واقعُ
هما بَرَّحا بي مُغوِلَينِ كلاهما ... فؤادٌ وعينٌ جفنُها الدَّهرُ دامعُ

أَخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن سعيد قال: حدثنا الزُّبير قال: وأخبرنا به وكيع عن أبي أيوب المدينيّ، قال الزُّبير: قال: حدثتني ظَبية قالت:

سمعتُ عبد الله بن مُسلِم بن جُندب يُنشِد زوجي قولَ قيس بن ذَريح:

إذا ذُكِرتْ لُبنَى تأوَّه وٱشتكى ... تأوُّهَ محموم عليه البَلابلُ
يَبيت ويُضحي تحت ظِلّ منيَّةٍ ... به رَمَقٌ تَبكي عليه القبائلُ
قتيلٌ لِلُبنى صدَّع الحبُّ قلبَه ... وفي الحب شغلٌ للمحبّين شاغلُ

فصاح زوجي: أَوَّه! واحَربَاه واسَلبَاه! ثم أقبل على ٱبن جُندَب فقال:

وَيلك أتُنشد هذا كذا! قال: فكيف أُنشِدُه؟ قال: لم لا تتأوّه كما يتأوّه وتشتكي كما يشتكي!

وقال القحذمّي: قال ابن أَبي عَتيق لقيس يوماً: أنشِدْني أحرَّ ما قلتَ في لُبنى. فأنشده قوله:

وإني لأهوَى النَّوم في غير حينه ... لعلَّ لقاء في المنام يكونُ
تُحدّثني الأحلامُ أني أراكم ... فيا ليتَ أحلامَ المنام يقينُ
شهدتُ بأني لم أحل عن مودّةٍ ... وأني بكم لو تعلمين ضَنينُ
وأن فؤادي لا يَلِين إلى هوَى ... سواكِ وإن قالوا بَلى سيَلِينُ

فقال له ابن أَبي عَتيق: لَقَلَّ ما رضيتَ به منها يا قَيس. قال: ذلك جُهدُ المُقِلّ.

غنّى في البيتين الأولين قَفَا النجّار ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى عن حَبش.

أَخبرني أحمد بن جعفر جَحظة قال: أنشدني أحمد بن يحيى ثعلب لقيس بن ذَريح وكان يستحسن هذه الأبيات من شعره:

سقَى طَلَلَ الدّارِ التي أَنتم بها ... حَياً ثم وَبْلٌ صَيِّفٌ وربيعُ
مضى زمنٌ والناس يستشفعون بي ... فهل لي إلى لبنى الغَداةَ شفيعُ
سأصرِم لُبنى حبلَكِ اليومَ مُجمِلاً ... وإن كان صَرمُ الحبل منكِ يَروعُ
وسوف أسَلّي النفسَ عنكِ كما سَلا ... عن البلد النائي البعيدِ نَزيعُ[1]
وإن مَسَّني للضُّرِّ منكِ كآبةٌ ... وإن نال جسمي للفِراق خُشوعُ
يقولون صَبٌّ بالنساء موكَّلٌ ... وما ذاك من فعلِ الرجال بَديعُ
نَدِمتُ على ما كان منّي ندامةً ... كما ندِم المغبونُ حين يَبيعُ

(1) نزيع: غريب.

فقَدتُكِ من نفسٍ شَعاع ألم أكن نهيتُكِ عن هذا وأنتِ جَميعُ
فقرّبتِ لي غيرَ القريب وأشرفتْ هناكَ ثنايا ما لهنَّ طلوعُ
إلى الله أشكو نِيَّةً شقَّت العصا هي اليوم شتَّى وهي أمسِ جميعُ
فيا حَجَراتِ الدارِ حيث تحمّلوا بذي سَلَمٍ لا جادكنَّ ربيعُ

صوت

فلو لم يَهِجني الظاعنون لهاجَني حمائمُ ورقٌ في الدّيار وُقوعُ
تَداعَيْنَ فاْستبكَيْنَ مَن كان ذا هوى نوائحَ لم تَقطُر لهنّ دُموعُ

- غنّى في هذين البيتين آبنُ سُرَيج خفيف ثقيلٍ أوّل عن الهِشاميّ -.

صوت

إذا أَمرتْني العاذلاتُ بهجرها أبتْ كَبِدٌ عمّا يَقُلنَ صديعُ
وكيف أُطيع العاذلاتِ وذكرُها يؤرّقني والعاذلاتُ هجُوعُ

غنّى في هذين البيتين إبراهيمُ ثانيَ ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو.

أَخبرني الحَرميُّ قال: حدثنا الزُّبير بن بَكّار قال: حدثني عبد الملك بن عبد العزيز قال:

أَنشدتُ أَبا السائبِ المَخزوميّ قولَ قيس بن ذَريح:

صوت

أُحبُّكِ أَصنافاً من الحبّ لم أجِدْ لها مَثَلاً في سائر الناس يُوصَفُ
فمنهنّ حبٌّ للحبيب ورحمةٌ بمعرفتي منه بما يتكلّفُ
ومنهن ألاّ يَعرِضَ الدَّهرَ ذكرُها على القلب إلّا كادتِ النفس تَتلَفُ

وحبٌّ بدا بالجسم واللونِ ظاهرٌ وحبٌّ لدى نفسي من الروح أَلطفُ

قال أبو السائب: لا جَرَم والله لأخلِصَنَّ له الصَّفاءَ ولأَغضبنّ لغضبه ولأرضَيَن لرضاه. غنّى في البيتين الأوّلين الحسين بن مُحرِز خفيفَ ثقيلٍ عن الهشامي وبَذْل.

أخبرني الحرمي قال: حدثنا الزُّبير قال: حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز، عن أَبي السائب المخزومي أنه أخبره أنه كان مع عبد الرحمن بن عبد الله بن كثير في سقيفة دار كثير، إذ مُرَّ بجنازة، فقال لي: يا أَبا السائب، جارُك أَبن كلَدة، ألاَ تقوم بنا فنصلّيَ عليه! قال: قلت بَلى والله فديتُك! فقمنا حتى إذا كنّا عند دار أُوَيس إِذ ذكرتُ أَن جدّه كان تزوّج لُبنى ونزل بها المدينة، فرجعتُ فطرحتُ نفسي في السّقيفة وقلت: لا يراني الله أُصلّي عليه. فرجع الكثيريُّ فقال: أكنتَ جُنُباً؟ قلتُ: لا والله. قال: فعلى غيرِ وُضوء؟ قلتُ: لا والله. قال: فما لك؟ قلتُ: ذكرتُ أَن جدّه كان تزوّج لُبنَى وفرّق بينها وبين قيس بن ذَريح لمَّا ظعَن بها من بلادها، فما كنت لأصلّيَ عليه.

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال: حدثنا أحمد بن يحيى قال: حدثنا عبد الله بن شَبيب قال: حدثني هارون بن موسى الفَرْويّ قال: أخبرنا الخليل بن سعيد قال:

مررتُ بسُوق الطَّير، فإذا الناس قد اجتمعوا يركب بعضهم بعضاً، فاطّلعتُ فإذا أبو السائب المخزوميّ قائم على غراب يُباع وقد أخذ بطَرَف ردائه وهو يقول للغراب: يقول لك قيس بن ذَريح:

أَلاَ يا غرابَ البين قد طِرتَ بالذي أُحاذِر من لُبنى فهل أنت واقعُ

لِمَ لا تقع! ويضربه بردائه والغرابَ يصيح. قال: فقال قائل له: أصلحك الله يا أبا السائب! ليس هذا ذاك الغراب. فقال: قد علمت، ولكن آخذ البريء حتى يقع الجريء.

وقال الجِرمازيُّ في خبره: لمَّا بلغ لُبنى قولُ قيس:

أَلا يا غرابَ البين قد طِرتَ بالذي ... أُحاذِر من لبنى فهل أنت واقعُ؟

آلتْ ألّا ترى غراباً إلاّ قتلته، فكانت كلّما رأته أو رأته خادمٌ لها أو جارة ابتيع ممن هو معه وذبحته.

وهذه القصيدة العينيّة أيضاً من جيّد شعر قيس. والمختارُ منها قوله:

أتبكي على لُبنى وأَنت تركتَها ... وكنتَ كآتٍ حَتفَه وهو طائعُ

فيا قلبُ صبراً وآعترافاً لما ترى ... ويا حبَّها قَعْ بالذي أنت واقعُ

ويا قلبُ خبِّرني إذا شَطَّتِ النَّوى ... بلُبنى وبانت عنك ما أنت صانعُ

أتصبِر للبَين المُشِتِّ مع الجوى ... أم أنت آمرؤ ناسي الحياء فجازعُ

كأنّك بِدعٌ[1] لم ترَ الناسَ قبلَها ... ولم يطَّلعك الدهرُ فيمن يُطالعُ

أَلا يا غرابَ البَين قد طِرتَ بالذي ... أُحاذِر من لُبنى فهل أنت واقعُ

فليس محبٌّ دائماً لحبيبِه ... ولا ثقةٌ إلا له الدهرَ فاجعُ

كأنَّ بلادَ الله ما لم تكن بها ... وإن كان فيها الناسُ قَفْرٌ بَلاقِعُ

فما أنت إذ بانت لُبينى بهاجع ... إذا ما اطمأنَّت بالنِّيام المَضاجعُ

صوت

أُقضِّي نهاري بالحديث وبالمُنى ... ويَجمعني والهمَّ بالليل جامعُ

نهاري نهارُ الناس حتى إذا دَجا[2] ... ليَ الليلُ هَزَّتني إليكِ المضاجعُ

لقد رسختْ في القلب منكِ مودّةٌ ... كما رسخت في الراحتين الأصابعُ

---

(1) البدع: الغمر من الرجال، وهو الذي لم يجرب الأمور.

(2) في الأصول: «بدا».

أحالَ عليَّ الهمُّ من كلِّ جانب ودامت فلم تبرح عليَّ الفواجعُ
ألا إنما أبكي لما هو واقعٌ فهل جَزَعي من وَشْكِ ذلك نافعُ
وقد كنتُ أبكي والنوى مطمئنَّةٌ بنا وبكم من عِلمِ ما البينُ صانعُ
وأَهجُركم هجرَ البَغيض وحبُّكم على كبدي منه كُلومٌ صوادعُ
وأَعمِد للأرض التي لا أُريدها لِترجعَني يوماً إليكِ الرواجعُ
وأُشفِق من هِجرانكم وتَرُوعني مَخافةُ وَشْكِ البين والشَّملُ جامعُ
فما كلُّ ما منَّتكَ نفسُك خالياً تُلاقي ولا كلُّ الهوى أنت تابعُ
لعمري لمَن أمسى ولُبنى ضجيعُه من الناس ما آختيرت عليه المضاجعُ
فتلك لُبينى قد تراخى مَزارُها وتلك نَواها غُربةٌ ما تُطاوعُ
وليس لأمرٍ حاول الله جمعَه مُشِتٌّ ولا ما فرَّق الله جامعُ
فلا تَبكين في إثر لُبنى نَدامةً وقد نَزَعتها من يديك النوازعُ

غنى الغريض في الثالث والرابع والأول والعشرين وهو «لعمري لمَن أمسى ولُبنى ضجيعُه» ثقيلاً أول بالسبَّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وغنَّى إبراهيم الموصلي في العاشر وهو: «أقضي نهاري بالحديث وبالمُنى» والحادي عشر والثاني عشر رَمَلاً بالوسطى عن عمرو. وقد قيل: إن ثلاثة أبيات من هذه وهي: «أقضِي نهاري بالحديث وبالمنى» والبيتان اللذان بعده لابن الدُّمَينة الخَثعَميّ، وهو الصحيح؛ وإنما أدخلها الناس في هذه الأبيات لتشابهها.

وقد اختُلف في آخر أمر قيس ولُبنى، فذكر أكثر الرُّواة أنهما ماتا على افتراقهما، فمنهم من قال: إنه مات قبلها وبلغها ذلك فماتت أسفاً عليه. ومنهم من قال: بل ماتت قبله ومات بعدها أسفاً عليها، وممن ذكر ذلك اليوسُفيّ عن عليّ بن صالح صاحبِ المُصلّى، قال: قال لي أبو عمرو المدَنيّ:

ماتت لُبنى، فخرج قيسٌ ومعه جماعةٌ من أهله فوقف على قبرها فقال:

ماتت لُبينى فموتُها مَوتي ... وهل تنفعَن حَسرتي على الفَوتِ
وسوف أبكي بكاءَ مكتئب ... قضى حياةً وَجْداً على مَيتِ

ثم أكَبَّ على القبر يبكي حتى أغمي عليه، فرفعه أهلُه إلى منزله وهو لا يعقل، فلم يزل عليلاً لا يُفيق ولا يجيب مكلَماً ثلاثاً حتى مات فدُفن إلى جنبها.

وذكر القَحذميّ وابن عائشة وخالد بن جمل أن ابن أَبي عتيق صار إلى الحسن والحسين ابنَيْ عليّ بن أبي طالب وعبد الله بن جعفر ﷺ وجماعةٍ من قريش، فقال لهم: إن لي حاجةً إلى رجل أخشى أن يَرُدَّني فيها، وإني أستعين بجاهكم وأموالكم فيها عليه. قالوا: ذلك لك مُبتَذَلٌ منّا. فاجتمعوا ليومٍ وعَدهم فيه، فمضى بهم إلى زوج لُبنى. فلمّا رآهم أعظم مصيرَهم إليه وأَكبره. فقالوا: لقد جئناك بأجمعنا في حاجة لابن أبي عَتيق. قال: هي مقضيَّة كائنةً ما كانت. قال ابن أَبي عَتيق: قد قضيتَها كائنةً ما كانت من مِلك أو مال أو أَهل؟ قال نعم. قال: تَهَب لهم ولي لُبنى زوجتك وتطلّقها. قال: فإني أُشهِدكم أنها طالقٌ ثلاثاً. فاستحيا القوم واعتذروا وقالوا: والله ما عرفنا حاجته، ولو علمنا أنها هذه ما سألناك إيّاها. وقال ابن عائشة: فعوَّضه الحسنُ من ذلك مائةَ ألف درهم وحملها ابن أبي عتيق إليه. فلم تزل عنده حتى انقضت عِدَّتُها. فسأل القوم أَباها فزوّجها قيساً، فلم تزل معه حتى ماتا. قالوا: فقال قيس يمدح ابن أبي عَتيق:

جزى الرحمنُ أفضلَ ما يُجازي ... على الإحسان خيراً من صديقِ
فقد جَرَّبتُ إخواني جميعاً ... فما ألفيتُ كابنِ أبي عتيقِ
سعى في جمع شملي بعد صَدْعٍ ... ورأيٍ حِدتُ فيه عن الطريقِ
وأطفأ لوعةً كانت بقلبي ... أغصَّتني حرارتُها بريقي

قال: فقال له ابن أبي عتيق: يا حبيبي أمسك عن هذا المديح؛ فما يسمعه أحد إلّا ظنّني قوّاداً. مضى الحديث.

أسماء المواضع في شعر قيس لبنى

● **الأَراك**: شجر من الحمض له حمل كحمل عناقيد العنب، من أطيب ما ترعى الماشية، وتتخذ منه المساويك الجيدة. وسمّي به موضع قريب من مكة، اختلفت عبارة من أراد تحديده. فقال الأصمعي: أراك: جبل لهذيل. وقال محمد بن حبيب: أراك: فرع من دون ثافل يدفع في الصوق، والصوق يدفع في غيقة. وقال نصر: أراك: فرع من دون ثافل قرب مكة. فالأراك من مواقف عرفة من ناحية الشام، ونمرة من مواقف عرفة من ناحية اليمن. وقال ياقوت: قيل: هو موضع من نمرة في موضع من عرفة... وقيل: هو من مواقف عرفة، بعضه من جهة الشام، وبعضه من جهة اليمن.

● **أَريك**: الأريك: الجبل الصغير. إنما سمي أريكاً، لأنه جبل كثير الأراكِ. والاسم صالح إذن لأن يطلق على أكثر من موضع، وقد حدث فعلاً. فهناك أريك الفوارس، وأريك الأسود، وأريك الأبيض أو الأحمر. واشتهر من هذه الأماكن: أريك: موضع في ديار بني غني بن يعصر. وقيل أريك: في بلاد ذبيان. وقال غيره: أريك: جبل قريب من معدن النقرة، شق منه لمحارب وشق لبني الصادر من بني سليم. ولعل المراد ما عرفه الهمداني بأنه بمكة.

● **الأزْهَر**: ذكر ياقوت موضعين بهذا الاسم. أحدهما باليمامة، والثاني ـ وهو المقصود ـ موضع على أميال من الطائف.

● **أَمَج**: أمج وغران: واديان يأخذان من حرة بني سليم ويفرغان في البحر. وأطلق الاسم أيضاً على قرية جامعة كثيرة المزارع والنخل وبها سوق، من أعراض المدينة.

● **بَذر**: أطلق هذا الاسم على عدة أماكن في بلاد العرب، ولكن المراد

هنا أشهرها، وهو ماء بين مكة والمدينة، أسفل وادي الصفراء، بينه وبين الجار على ساحل البحر الأحمر ليلة، قيل: على ثمانية وعشرين فرسخاً من المدينة. وقيل: بين بدر والمدينة سبعة برد، وقيل: بين بدر والمدينة ثمانية برد وميلان.

● **البَصْرة**: ميناء العراق.

● **البَطْحاء**: كل موضع متسع. وقد أطلق اسماً على عدة مواضع، المراد منها بطحاء مكة.

● **بِيشَة**: واد من أودية تهامة. بيشة وتربة ورنية والعقيق: أودية تنصب من جبال تهامة مشرقة في نجد. والأصح أنها تنصب من جبال الحجاز. وأطلق الاسم على قرية في ذلك الوادي أيضاً. وهي قرية غناء في واد كثير الأهل من بلاد اليمن، على خمس مراحل من مكة، وتبعد عن تبالة في شمالها أربعة وعشرين ميلاً.

● **تِهامة**: تساير البحر الأحمر. أما اليمن فقسمان، ما كان نحو البحر فهو غور، واسمه تهامة. وتهامة قطعة من اليمن، جبال مشتبكة، أولها مشرف على بحر القلزم مما يلي غربيها، وشرقيها بناحية صعدة وجرش ونجران، وشماليها حدود مكة. وجنوبيها من صنعاء على نحو من عشر مراحل.

● **تَيماء**: مدينة كثيرة النخل والتين والعنب، في الطريق بين الشام والحجاز، في شمالي تبوك.

● **ثَبير**: بالحجاز أربعة جبال تدعى بهذا الاسم، المراد منها ثبير مكة. وهو جبل مشرف من أعظم جبال مكة.

● **الثُّدَي**: قال ياقوت: موضع بنجد، وأنا أحسبه بالشام لأن جميلاً ذكره وكان منازله بالشام، وقيل: موضع بتهامة، اعتماداً على شعر قيس لبنى.

● **الجار**: ساحل المدينة على البحر الأحمر. وقرية كثيرة القصور والسكان على شاطىء البحر فيما يوازي المدينة، نصفها على الساحل ونصفها

في جزيرة من البحر، ترفأ إليها السفن من الحبشة ومصر وعدن والصين والهند.

● **الجُحْفَة**: قرية كبيرة على طريق المدينة من مكة.

● **جَرْعاء مالك**: لم يذكرها غير ياقوت، وقال: قال أبو زياد: رملة.

● **جَمْع**: اسم للمزدلفة، سُميت بذلك للجمع بين صلاتي المغرب والعشاء فيها، وذكر ياقوت: أنها سميت بذلك لاجتماع الناس بها.

● **الحِجاز**: الجبال الممتدة من اليمن إلى الشام، وإنما سميت حجازاً لأنها حجزت بين تهامة ونجد.

● **الحَجون**: الجبل المشرف بأعلى مكة.

● **حُزْوَى**: موضع في ديار بني تميم. وقال الأزهري: حبل من حبال الدهناء.

● **حَضْرَمَوْت**: إقليم واسع في شرقي عدن بقرب المحيط الهندي، تفصل بينهما رمال.

● **الخَيف**: ارتفاع وهبوط في سفح جبل أو غِلظ، ولذلك يقع اسماً مضافاً إلى مواضع كثيرة، أشهرها المراد هنا، وهو خيف منى.

● **الدار**: يتضح من قصة مضاض ومية أنه موضع قريب من مكة.

● **الدَّهْناء**: رمال في طريق اليمامة إلى مكة، لا يعرف طولها، وأما عرضها فثلاث ليال، وهي على أربعة أميال من هجر.

● **الذَّنائب**: ثلاث هضبات بنجد، على طريق البصرة إلى مكة.

● **ذو الأَثْل**: موضع بودان، بين مكة والمدينة.

● **ذو سَلَم**: بين المدينة ومكة.

● **ذو الطَّلح**: واد بين المدينة وبدر، ولعله المقصود.

● **سُراوع**: لم يذكره غير ياقوت، وقال عنه: علم مرتجل لاسم موضع.

● **سَرِف**: موضع على الطريق بين مكة ومر الظهران.

● **سَلْع**: السلع: الشق في الجبل كهيئة الصدع أو الطريق فيه.. وفي بلاد العرب مواضع كثيرة بهذا الاسم. ولكن اشتهر منها الجبل المتصل بالمدينة.

● **شراوع**: ذكر في لسان العرب أن العامة تسمى سراوع: شراوع.

● **صَنْعاء**: عاصمة اليمن وأكبر مدنها.

● **الطائف**: مدينة صغيرة كثيرة الشجر والثمر، طيبة الهواء، فواكه مكة وبقولها منها، وهي على ظهر جبل غزوان، إلى الجنوب من مكة، على مسيرة يوم منها أو اثني عشر فرسخاً.

● **ظَبْية**: اسم عدة مواضع في بلاد العرب، لعل المراد الهضبة التي بين ينبع وغيقة بساحل البحر الأحمر.

● **عَرَفة**: هي عرفات.

● **غَيْقة**: بين مكة والمدينة في بلاد غفار. وقيل: خبت في ساحل بحر الجار، فيه أودية، ولها شعبتان، إحداهما ترجع فيها والأخرى في يليل، وهو بوادي الصفراء.

● **قُباء**: موضعان، أحدهما على طريق مكة والبصرة، والثاني ـ وهو المراد ـ قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة منها.

● **قُديد**: قرية على الطريق بين المدينة ومكة، أقرب إلى الأخيرة.

● **الكَعْبة** المشرّفة.

● **اللِّوَى**: منقطع الرملة، قال ياقوت: وهو أيضاً موضع بعينه، قد أكثرت الشعراء من ذكره وخلطت بين ذلك اللوى والرمل، فعز الفصل بينهما.

● **المَأْزِمان**: قال ابن شعبان: هما جبلا مكة وليسا من المزدلفة. والأدق أنهما شعب بين جبلين، بين عرفة والمزدلفة.

● **المُحصَّب**: موضع بين مكة ومنى، إلى منى أقرب.

● **المدينة المنورة**.

● **مَرُّ الظَّهران**: موضع على الطريق بين مكة والمدينة.

● **المُزْدَلِفة**: مكان بين بطن محسر والمأزمين، وهي مبيت للحاج ومجمع صلاتي المغرب والعشاء الآخرة.

● **المَشْعَران**: عرفة والمزدلفة.

● **المَطابخ**: موضع بمكة.

● **مكة المكرمة**.

● **مِنىً**: شعب طوله دون الميلين، وعرضه دون رمية السهم، على طريق عرفات من مكة.

● **نَجْد**: الأرض العريضة التي أعلاها تهامة واليمن وأسفلها العراق والشام فتتصل بأرض البحرين وبوادي العراق والجزيرة والشام.

● **نَعْمان**: وادي عرفة دونها إلى منى. وأدق من ذلك أنه واد بين مكة والطائف، وقيل: على ليلتين من عرفات.

● **النُّقِرة**: بقعة على الطريق بين مكة والمدينة والكوفة، عندها تفترق الطرق، بينها وبين العباسية 15 ميلاً، وبينها وبين قرورى 17 ميلاً، وبينها وبين الحاجر 27 ميلاً، وبينها وبين المغيثة في طريق مكة 27 ميلاً، وبينها وبين العسيلة في طريق المدينة 46 ميلاً.

● **وادي القُرَى**: واد على الطريق من المدينة إلى الشام، بين الحجر والبيضاء والرحبية، من أعمال المدينة.

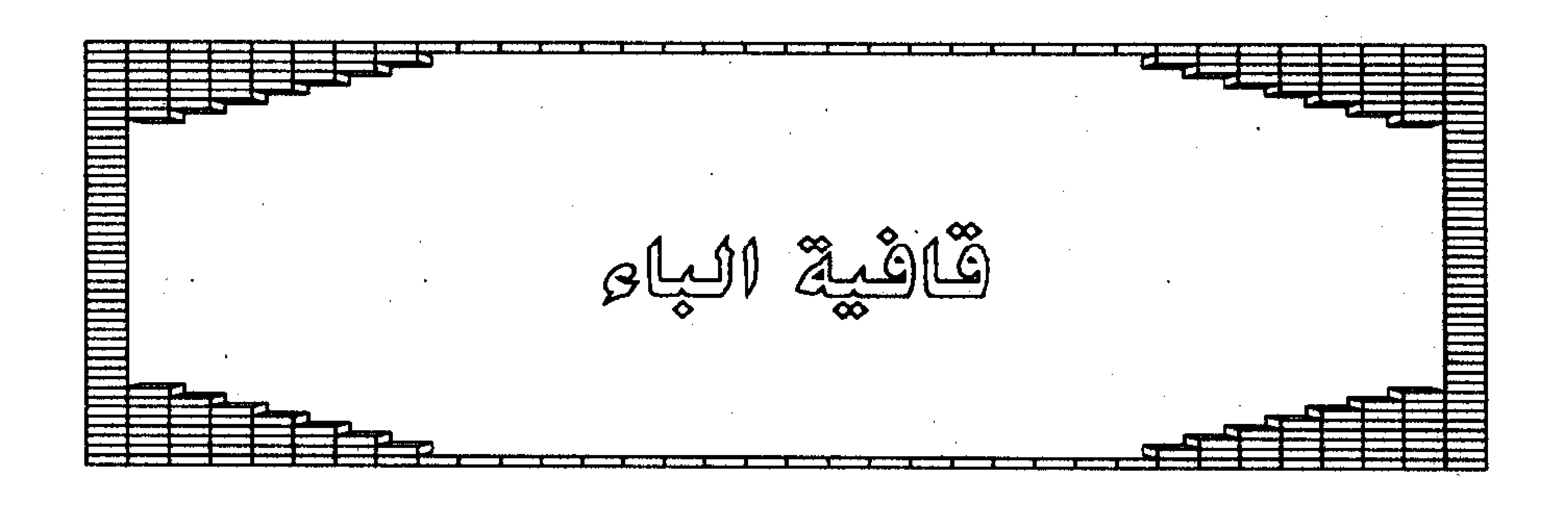
● **وَجْرَة**: موضع على الطريق بين مكة والبصرة بين مران وأوطاس.

● **وَدّان**: قرية جامعة من نواحي الفرع، على الطريق من مكة إلى المدينة، قريبة من الجحفة، بين الأبواء وعقبة هرشى. بينها وبين الأبواء على طريق الحاج في غربيها ستة أميال.

● **يَثْرِب**: المدينة.

● **اليمامة**: واد كثير الشجر والنخل، بينها وبين البحرين عشرة أيام، وهي معدودة من نجد.

● **يَنْبُع**: ميناء بين مكة والمدينة، يصب واديها في غيقة، على سبع مراحل من المدينة، وعلى ليلة من جبل رضوى.



لولاكِ لم أمسسن تُرابا [الوافر]

قال(1):

أَمَسُّ تُرَابَ أَرْضِكِ يا لُبَيْنَى وَلَوْلا أَنْتِ لَم أَمْسَسْ تُرَابا(2)

إذا ذُكرت لبنى عَييتُ [الوافر]

وقيس هو القائل أيضاً(3):

وَمَا أَحْبَبْتُ أَرْضَكُمُ وَلكِنْ أُقَبِّلُ إِثْرَ مَنْ وَطِىءَ التُّرَابَا(4)
لَقَدْ لاقَيْتُ مِنْ كَلَفِي بِلُبْنَى بَلاءً مَا أُسِيغُ بِهِ الشَّرَابَا(5)
إِذَا نَادَى المُنَادِي بِاسْمِ لُبْنَى عَيِيتُ فَمَا أُطِيقُ لَهُ جَوَابَا(6)

---

(1) المصدر: تاريخ دمشق، ابن عساكر: ٢٧/ ٤٦٧.
(2) أَمسُّ: ألمسُ.
(3) المصدر: الأغاني: ٩/ ١٨٦، الأمالي: ٢/ ٧٦.
(4) إثر: الأَثر: ما بقي من رسم الشيء. وطىء التراب: داسه.
(5) كلف به: أحبه حباً شديداً. البلاء: الغم. أساغ الشراب: سهل مدخله في الحلق.
(6) المنادي: الذي يصيح. عي في النطق: تعذر عليه نطق الكلام.

فَـهَـذَا فِـعْـلُ شَـيْـخَـيْـنَـا جَـمِـيـعـاً أَرَادَا لِـي الـبَـلِـيَّـةَ والـعَـذَابَـا[1]

عفا الله عن أمّ الوليد [الطويل]

وقال[2]:

أَضَـوْءُ سَـنَـا بَـرْقٍ بَـدَا لَـكَ لَـمْـعُـهُ بِذِي الأَثْلِ مِنْ أَجْرَاعِ بِيشَةَ تَرْقُبُ[3]
نَـعَـمْ إِنَّـنِـي صَـبٌّ هُـنَـاكَ مُـوَكَّـلٌ بِـمَـنْ لَـيْـسَ يُـدْنِـيـنِـي وَلا يَـتَـقَـرَّبُ[4]
وَمَـنْ أَشْـتَـكِـي مِـنْـهُ الـجَـفَـاءَ وَحُـبُّـهُ طَـرَائِـفُ كـانَـتْ زَوٌّ مَـنْ يَـتَـحَـبَّـبُ[5]
عَـفَـا اللهُ عَـنْ أُمِّ الـوَلِـيـدِ أَمَـا تَـرَى مَـشَـائِطُ حُبِّي كَيْفَ بِي تَتَلَعَّبُ[6]
فَـتَـأْوِي لِـمَـنْ كـادَتْ تَـفِـيـظُ حَـيَـاتُـهُ غَـدَاةَ سَـمَـتْ نَـحْـوِي سَـوَائِرُ تَـنْـعَـبُ[7]
وَمِـنْ سَـقَـمِـي مِـنْ نِـيَّـةِ الـحُـبِّ كُـلَّـمَـا أَتَـى رَاكِـبٌ مِـنْ نَـحْـوِ أَرْضِـكِ يَـضْـرِبُ[8]
مَـرِضْـتُ فَـجَـاؤُوا بِـالـمُـعَـالِـجِ والـرُّقَـى وَقَـالُـوا: بَـصِـيـرٌ بِـالـدَّوَاءِ مُـجَـرِّبُ[9]

---

(1) البلية: ج بلايا: المصيبة.
(2) المصدر: قيس ولبنى شعر ودراسة، حسين نصّار: ٥٧.
(3) ذو الأثل: واد بنواحي المدينة. أجراع: الرملة الطيبة المنبت لا وعوثة فيها. بيشة: واد بطريق اليمامة. السنا: ضوء البرق. البرق: السحاب. اللمع: لمع البرق: أضاء. رقب: حرس.
(4) الصب: العاشق. الموكل: من وكل إليه الأمر. يتقرب: دنا وقرب منه.
(5) طرائف: مؤنث الطريف: الحديث النادر المستحسن. تحبب إليه: أظهر له المحبة والوداد. الزوّ: القرينان وكل زوج.
(6) المشائط: ج مشاط: نبت صغير يقال له مشط الذئب.
(7) أوى: رق له ورحمه. سمت: رفعت. سوائر: السؤر: البقية والفضلة.
(8) النية: الوجه الذي يذهب إليه. يضرب: يخرج تاجراً أو غازياً.
(9) الرّقى: النفث في عوذته.

أَتَـانِـي فَـدَاوَانِـي وَطَـالَ اخْـتِـلافُـهُ إِلَـيَّ فـأَعْـيَـاهُ الـرُّقَـى والـتَّـطَـبُّـبُ[1]

وَلَـمْ يُـغْـنِ عَـنِّـي مَـا يُـعـقِّـدُ طـائِـلاً وَلاَ مَا يُمَنِّيني الطَّبِيبُ المُجَرِّبُ[2]

وَلاَ نُـشُـرَاتٌ بـاتَ يـغْـسِـلُـنِـي بِـهَـا إِذَا مَا بَدَا لي الكَوْكَبُ المُتَصَوِّبُ[3]

وَبَـانُـوا وَقَـدْ زَالَـتْ بِـلُـبْـنَـاكَ جَـسْـرَةٌ سَبُوحٌ وَمَوَّارُ المِلاطَيْنِ أَصْهَبُ[4]

تَـظُـنُّ مِـنَ الـظَّـنِّ الـمُـكَـذِّبِ أَنَّـهُ وَرَاكِـبَـهُ دَارًا بِـمَـكَّـةَ يَـطْـلُـبُ

فَـلاَ والـذي مَـسَّـحْـتُ أَرْكَـانَ بَـيْـتِـهِ أَطُوفُ بِهِ فِيمَنْ يَطُوفُ وَيَحْصِبُ[5]

نَـسَـيْـتُـكِ مَـا أَرْسَـى ثَـبِـيـرٌ مَـكَـانَـهُ وَمَا دَامَ جاراً للحَجُونِ المُحَصَّبُ[6]

وَمَا سَجَعَتْ وَرْقَاءُ تَهْتِفُ بالضُّحَى تُـصَـعِّـدُ فِـي أَفْـنَـانِـهَـا وَتُـصَـوِّبُ[7]

وَمَـا أَمْـطَـرَتْ يَـوْمـاً بِـنَـجْـدٍ سَـحَـابَـةٌ وَمَا اخْضَرَّ بالأَجْرَاعِ طَلْحٌ وتَنْضُبُ[8]

أَلا إِنَّ فِـي الـيَـأْسِ الـمُـفَـرِّقِ رَاحَـةً سَيُسْلِيك عَمَّنْ نَفْعُهُ عَنْكَ يَعْزُبُ[9]

---

(1) **أعياه**: أعجزه.

(2) **المعقِّد**: الساحر.

(3) **نُشُرات**: ج نشرة: رقية يعالج بها المريض. **المتصوب**: المنصب.

(4) **بان**: انقطع. **الجسرة**: الناقة الضخمة الطويلة. **السبوح**: الناقة التي تسبح بيديها أثناء سيرها مسرعة. **الموّار**: المجيء والذهاب. **الملط**: جانبا السنام. **العضد**: من المرفق إلى الكتف. **أصهب**: البعير الذي يخالط بياضه حمرة.

(5) **طاف**: دار. **يحصب**: يرمي بالحصى.

(6) **ثبير**: جبال بظاهر مكة. **الحجون**: جبل بمعلاة مكة، **المحصب**: موضع رمي الجمار بمنىً.

(7) **سجعت**: رددت صوتها. **الورقاء**: الحمامة التي يميل لونها إلى الخضرة. **تصوب**: تسفّل.

(8) **النجد**: ما أشرف من الأرض. **الأجراع**: جمع جرعة: الرملة الطيبة المنبت لا وعوثة فيها. **الطلح**: شجر من العِضاه، **التنضب**: شجر حجازي له شوك مثل العوسج.

(9) **يعزُب**: يبعد.

فَكُلُّ الذِي قَالُوا بَلَوْتُ فَلَمْ أَجِدْ ... لِذِي الشَّجْوِ أَشْفَى مِنْ هَوىً حِينَ يَقْرُبُ[1]
عَلَيْهَا سَلاَمُ اللهِ مَا هَبَّتِ الصَّبَا ... وَمَا لاحَ وَهْناً فِي دُجَى اللَّيْلِ كَوْكَبُ[2]
فَلَسْتُ بِمُبْتَاعٍ وِصَالاً بِوَصْلِهَا ... ولَسْتُ بِمُفْشٍ سِرَّهَا حِينَ أَغْضَبُ[3]

يطير الفؤاد لبين لبنى [الوافر]

وقيسنا هذا هو القائل أيضاً[4]:

لَقَدْ نَادَى الغُرَابُ بِبَيْنِ لُبْنَى ... فَطَارَ القَلْبُ مِنْ حَذَرِ الغُرَابِ
فقلتُ: غداً تَبَاعَدُ دَارُ لُبْنَى ... وَتَنْأَى بَعْدَ وُدٍّ وَاقْتِرابِ[5]
فَقُلْتُ: تَعِسْتَ وَيْحَكَ مِنْ غُرَابٍ ... وكانَ الدَّهْرَ سَعْيُكَ فِي تَبَابِ[6]
لَقَدْ أُولِعْتُ. لاَ لاقَيْتَ خَيْراً. ... بِتَفْرِيقِ المُحِبِّ عَنِ الحُبَابِ[7]

القلب الذي قاده الهوى [الطويل]

وقيس هو صاحب هذه الصورة الشعرية الرائعة التي نراه يقول فيها:

أَيَا كَبِداً طَارَتْ صُدُوعاً نَوَافِذاً ... وَيَا حَسْرَتَا، مَاذَا يُغَلْغَلُ فِي الْقَلْبِ؟[8]

---

(1) بلوت: اختبرت. الشجو: الحزن.
(2) الصَّبا: ريح من جهة الشرق. الوهن: ما بعد منتصف الليل.
(3) بمبتاع: بائع.
(4) المصدر: الأغاني: ٩/ ١٨٥. مصارع العشاق: ١/ ١٤٧.
(5) تباعد: أي تتباعد.
(6) ويحك: كلمة ترحم وتوجع. التباب: النقص.
(7) الحُباب: المحبوب.
(8) الصَّدع: الفرقة من الشيء.

فَأُقْسِمُ مَا عُمْشُ العُيُونِ شَوارِفٌ   رَوائِمُ بَوٌّ حَائِمَاتٌ عَلَى سَقْبِ[1]
تَشَمَّمْنَهُ لَوْ يَسْتَطِعْنَ ارْتَشَفْنَهُ   إِذَا سُفْنَهُ يَزْدَدْنَ نَكْباً عَلَى نَكْبِ[2]
رَئِمْنَ فَمَا تَنْحَاشُ مِنْهُنَّ شَارِفٌ   وَحَالَفْنَ حَبْساً فِي المُحُولِ وَفِي الجَدْبِ[3]
بِأَوْجَدَ مِنِّي يَوْمَ وَلَّتْ حُمُولُهَا   وَقَدْ طَلَعَتْ أُولَى الرِّكابِ مِنَ النُّقْبِ
وَكُلُّ مُلِمَّاتِ الزَّمَانِ وَجَدْتُهَا   سِوَى فُرْقَةِ الأَحْبَابِ هَيِّنَةَ الخَطْبِ
إِذَا افْتَلَتَتْ مِنْكَ النَّوَى ذَا مَوَدَّةٍ   حَبِيباً بِتَصْدَاعٍ مِنَ البَيْنِ ذِي شَعْبِ[4]
أَذَاقَتْكَ مُرَّ العَيْشِ أَوْ مُتَّ حَسْرَةً   كَمَا مَاتَ مَسْقِيُّ الضَّياحِ عَلَى أَلْبِ[5]
وَقُلْتُ لِقَلْبِي حِينَ لَجَّ بِيَ الهَوَى   وَكَلَّفَنِي مَا لا يُطِيقُ مِنَ الحُبِّ[6]
أَلا أَيُّهَا الْقَلْبُ الذِي قَادَهُ الهَوَى   أَفِقْ لا أَقَرَّ اللهُ عَيْنَكَ مِنْ قَلْبِ[7]

النباح أشهى إلى النفس [البسيط]

قال قيس[8]:

نُبَاحُ كَلْبٍ بِأَعْلَى الوادِ مِنْ سَرِفٍ   أَشْهَى إِلَى النَّفْسِ مِنْ تَأْذِينِ أَيُّوبِ[9]

---

(1) **البوّ**: جلد السّقب (ولد الناقة الذكر) يُحشى بعد موته تبناً.
(2) **النكب**: المطروح: الجنين قبل التمام.
(3) **رئمن**: عطفن.
(4) **البين**: يكون فرقةً ووصلاً. **تصداع**: تفريق. **النوى**: الدار. **الشعب**: القبيلة العظيمة.
(5) **مسقي الضياح**: العسل. **ألب**: سمٌّ.
(6) **لج**: ألح. **كلّفه**: أمره بما يشق عليه.
(7) **قرّت عينه**: بردت سروراً، ورأت ما كانت متشوّقة إليه.
(8) المصدر: الموشّح: ٣٢٣.
(9) **الواد**: الوادي. **سرف**: اسم موضع.

فيا نفسُ صبراً [الطويل]

وقال مخاطباً نفسه والحُسّاد[1]:

يَقَرُّ بِعيني قُرْبُها ويزيدني بها كَلَفاً من كان عِنْدي يَعيْبُها[2]
وكَمْ قائلٍ قد قال تُبْ فعصيتُه وتلك لعمري تَوْبَةٌ لا أَتُوبُها
فيا نَفْسُ صَبْراً لَسْتِ والله فاْعلمي بأوّل نَفْسٍ غاب عنها حَبِيبُها

الغريب الذي نأى

وقال[3]:

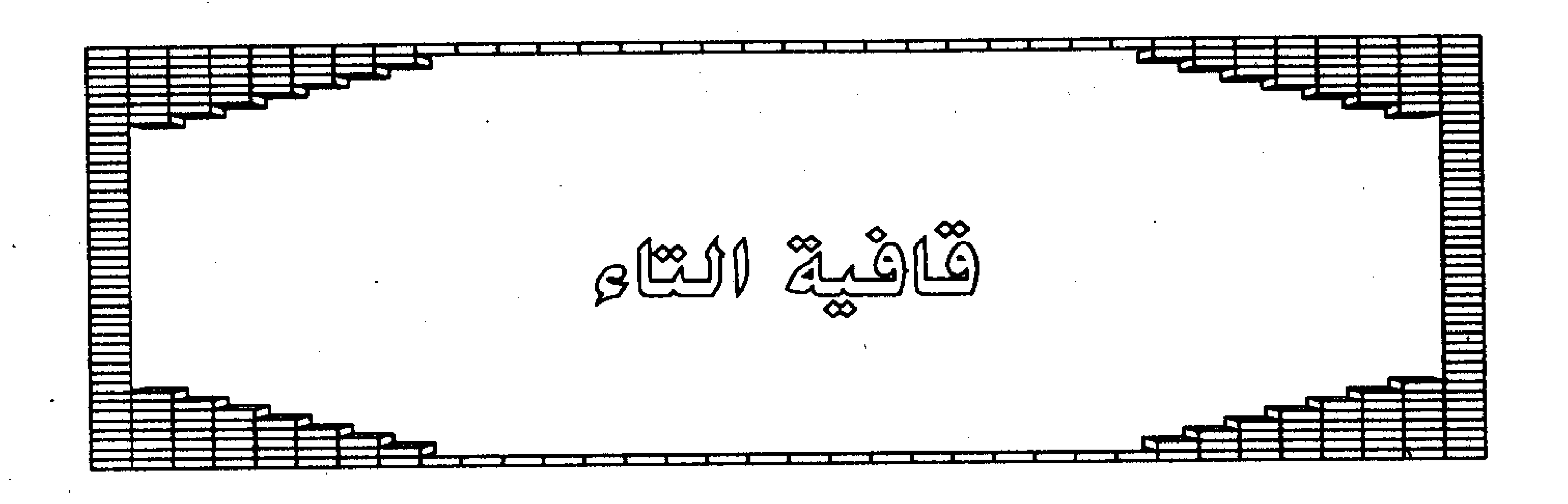
وفي الجيرةِ الغادينَ من بطنِ وَجْرةٍ غزالٌ غضيضُ المقْلتينِ رَبيبُ
فلا تحسبي أنّ الغريبَ الذي نأى ولكنّ مَنْ تَنْأين عنه غريبُ

إنّها الحبيب

وقال[4]:

حلفْتُ لها بالمشعرين وزمْزم وذو العرشِ فوق المقسمين رقيبُ[5]
لئن كان برْدُ الماء حرّان صادياً إليَّ حبيباً إنّها لحبيبُ[6]

(1) المصدر: الأغاني: ٩/ ١٩٣. الأمالي: ٢/ ١٢٧.
(2) **الكلف**: العشق.
(3) المصدر: مصارع العشاق ٢/ ٢١٦.
(4) المصدر: خزانة الأدب ١/ ٥٣٣. الكامل، المبرّد: ٣٧٨.
(5) **المشعر**: من مناسك الحج. **والمشعران**: المزدلفة وعرفة.
(6) **صادياً**: عطشاناً.



رمتني بسهمها

[الطويل]

وقيس هو صاحب هذه الأبيات الرقيقة البليغة[1]:

إذا خَدِرَتْ رِجْلِي تَذَكَّرْتُ مَنْ لَهَا   فَنَادَيْتُ لُبْنَى باسْمِهَا وَدَعَوْتُ
دَعَوْتُ التي لَو أَنَّ نَفْسِي تُطِيعُنِي   لَفَارَقْتُهَا مِنْ حُبِّهَا وَقَضَيْتُ[2]
بَرَتْ نَبْلَهَا للصَّيْدِ لُبْنَى وَرَيَّشَتْ   وَرَيَّشْتُ أُخْرَى مِثْلَهَا وَبَرَيْتُ[3]
فَلَمَّا رَمَتْنِي أَقْصَدَتني بِسَهْمِهَا   وأَخْطَأْتُهَا بِالسَّهْمِ حِينَ رَمَيْتُ
وَفَارَقْتُ لُبْنَى ضَلَّةً فَكَأَنَّنِي   قُرِنْتُ إِلى العَيُّوقِ ثُمَّ هَوَيْتُ[4]
فَيَا لَيْتَ أَنِّي مُتُّ قَبْلَ فِرَاقِهَا   وَهَلْ تُرْجِعَنْ فَوْتَ القَضِيَّةِ لَيْتُ[5]
فَصِرْتُ وَشَيْخِي كالذي عَثَرَتْ بِهِ   غَدَاةَ الوَغَى بَيْنَ العُدَاةِ كُمَيْتُ[6]

---

(1) المصدر: الأغاني ٩/ ١٨٠. تزيين الأسواق: ٤٨.
(2) **قضيت**: متُّ.
(3) **برى النبل**: نحته.
(4) **الضلة**: ضد الهدى. **العيوق**: نجم أحمر مضيء في طرف المجرة الأيمن.
(5) **فوت القضية**: ما فات من الأمر.
(6) **عثرت به**: عثر الفرس: زلَّ وكبا. **الوغى**: الصوت، الحرب. **الكميت**: ج كمت: من الخيل ما كان لونه بين الأسود والأحمر.

فَقَامَتْ ولَمْ تُضْرَرْ هناكَ سَوِيَّةً   وَفَارِسُها تَحْتَ السَّنابِكِ مَيْتُ
فإنْ يَكُ تَهْيَامِي بِلُبْنَى غَوَايةً   فَقَدْ، يا ذَرِيحُ بْنَ الحُبَابِ، غَوَيْتُ[1]
فَلاَ أَنْتَ مَا أَمَّلْتَ فِيَّ رَأَيْتَهُ   وَلاَ أَنَا لُبْنَى والحَيَاةَ حَوَيْتُ[2]
فَوَطِّنْ لِهُلْكِي مِنْكَ نَفْساً فإنَّنِي   كَأَنَّكَ بِي قَدْ، يا ذَرِيحُ، قَضَيْتُ[3]

الموت أرْوَحُ من التباعد [الوافر]

وقال واصفاً ألم الجوى[4]:

لَقَدْ عَذَّبْتَنِي يَا حُبَّ لُبْنَى   فَقَعْ إمَّا بِمَوْتٍ أَوْ حَيَاةِ[5]
فَإنَّ المَوْتَ أَرْوَحُ مِن حَيَاةٍ   تَدُومُ عَلَى التَّبَاعُدِ والشَّتَاتِ[6]
وَقَالَ الأَقْرَبُونَ: تَعَزَّ عَنْهَا   فَقُلْتُ لَهُمْ: إِذَنْ حَانَتْ وَفَاتِي

هل تنفع الحسرة [المنسرح]

وقف قيس على قبر لبنى بعد موتها، والأسى يعصر قلبه عصراً فقال[7]:

مَاتَتْ لُبَيْنَى فَمَوْتُهَا مَوْتِي   هَلْ تَنْفَعَنْ حَسْرَةٌ عَلَى الفَوْتِ[8]

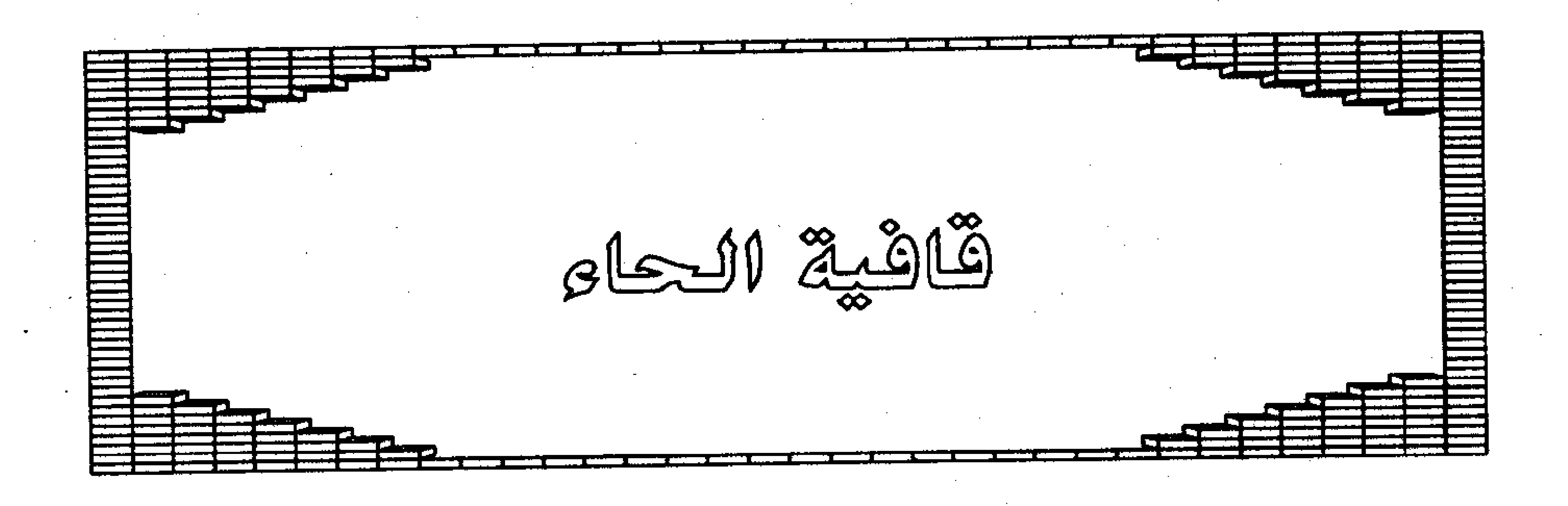
---

(1) **غوي**: ضل. **هام**: أحب. **أم حُباب**: الدنيا.
(2) **حويت**: ضممت.
(3) **قضيت**: متّ.
(4) المصدر: الأغاني: ٩/ ٢٠٦. مصارع العشاق ١/ ١٨٥.
(5) **قع**: الأمر من «وقع» أي: حصل.
(6) **الشتات**: التفرق.
(7) المصدر: الأغاني ٩/ ٢١٩.
(8) **الفوت**: ما فات من الأمر.

وَسَوْفَ أَبْكِي بُكَاءَ مُكْتَئِبٍ   قَضَى حَيَاةً وَجْداً عَلَى مَيْتِ[1]

ثم أكبّ على القبر يبكي حتى أُغمي عليه، ومات بعد ثلاث، فدفن إلى جنبها.

(1) الوجد: المحبة.



عذاب الهوى

[الوافر]

وقال[1]:

تُـبَـاكِـرُ أَمْ تَـرُوحُ غـداً رَواحـا   وَلَـنْ يَـسْـطِـيـعَ مُـرْتَـهَـنٌ بَـرَاحَـا[2]

سَـقِـيـمٌ لا يُـصَـابُ لـه دَوَاءٌ   أَصَابَ الـحُـبُّ مُـقْـلَـتَـهُ فَـنَـاحَـا[3]

وَعَـذَّبَـهُ الـهَـوَى حـتَّـى بَـرَاهُ   كَـبَـرْيِ الـقَـيْـنِ بِالسَّـفْـنِ القِدَاحَـا[4]

فَـكَـادَ يُـذِيـقُـهُ جُـرَعَ الـمَـنَـايَـا   وَلَـوْ سَـقَـاهُ ذلِـكَ لاسْـتَـرَاحَـا[5]

(1) المصدر: الأمالي ١/ ١٦٢. مصارع العشاق ١/ ٢٣٦.

(2) **تباكر**: بكر في الشيء: فعله غدوةً، والغدوة: أول النهار. **تروح**: تذهب العشي. **براح**: زوال.

(3) **سقيم**: مريض.

(4) **برى**: نحت. **القين**: الحداد. **السّفن**: كل ما ينحت به. **القدح**: السهم قبل أن ينصل ويراش.

(5) **جرع**: ج جرعة: وهي الدفعة والماء ونحوه. **المنايا**: ج المنيّة: الموت.

لقد عَلِقَ الجناح

قيل[1]: أجود ما قيل في معنى خفقان القلب قولُ قيسِ بن ذَريح:

كأنّ القلبَ ليلة قيل: يُغدى ... بليلى العامرية، أو يراحُ[2]

قطاةٌ عزّها شَركٌ، فباتت ... تجاذبُه، وقد علق الجناحُ

وَجِدْتُ بها

[الطويل]

قال أبو علي القالي صاحب كتاب «الأمالي»: وأنشدنا أبو بكر بن الأنباري، قال: أنشدنا عبد الله بن خِلف لقيس بن ذريح[3]:

هبيني امرءاً إنْ تُحسني فهو شاكِرٌ ... لذاكَ وإنْ لم تُحسني فهو صافِحُ[4]

وإنْ يَكُ أقوامٌ أساؤوا وأَهجروا ... فإنَّ الذي بيني وبينكِ صالِحُ[5]

ومهما يكن فالقلب يا لُبْنُ ناشرٌ ... عليكِ الهوَى، والجَيْب ما عشتُ ناصِحُ[6]

وإنّكَ مِنْ لُبْنى العَشِيَّةِ رائِحٌ ... مريضُ الذي تُطْوى عليه الجوانِحُ[7]

---

(1) المصدر: ديوان المعاني ١/ ٢٧٠. الحماسة البصرية: ١٥٧. وهذان البيتان مما يُنسب لقيس بن ذَريح وغيره.

(2) يُغدى: من الغداة: الصباح.

(3) المصدر: الأمالي ١/ ١٨٧. وانظر: ديوان مجنون ليلى: ٨٩.

(4) هَبْ: افترضْ. صافح: أعرض عنه.

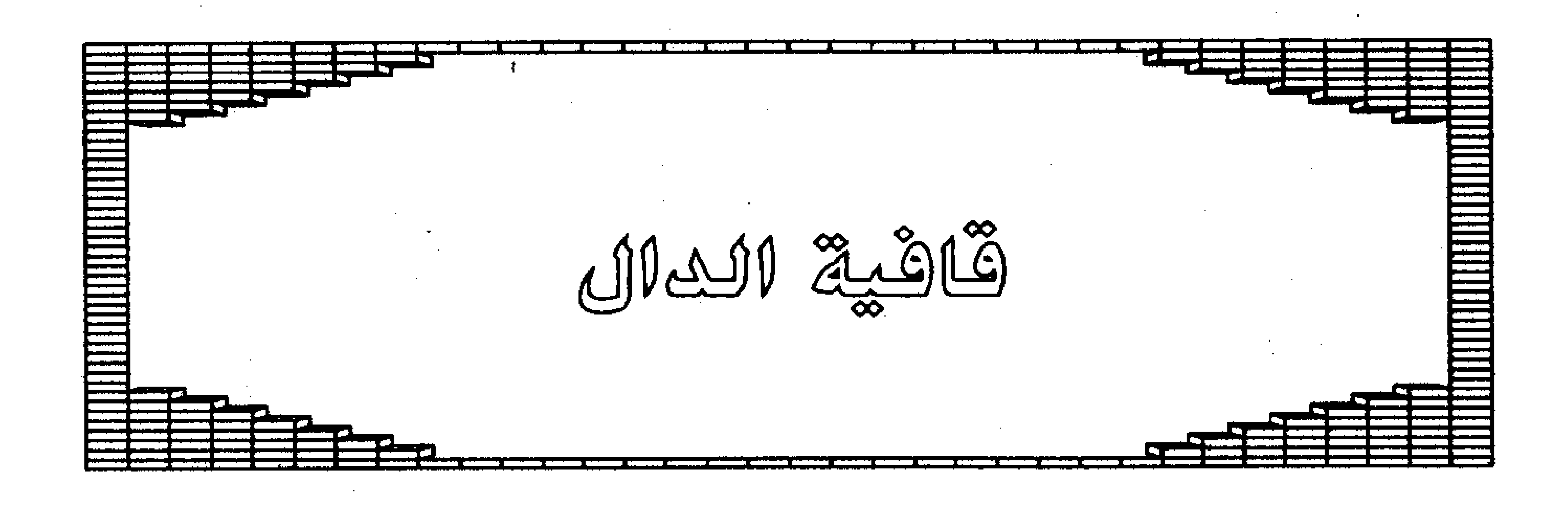
(5) أهجر: صرم، وترك.

(6) ناشر: باسط. الهوى: العشق. الجيب: القلب.

(7) الجوانح: الأضلاع.

فَـمَـا وَجِـدَتْ وَجْـدِي بـهـا أُمُّ واحِـدٍ بـواجِـدها ضُـمّـتْ عـليـه صـفـائِحُ[1]
وَجِـدْتُ بـهـا وَجْـدَ الـمُـضِـلِّ رِكـابَـهُ بِـمَـكّـةَ والـرُّكـبـانُ غـادٍ ورائِـحُ[2]

(1) **وجَدَ**: أحب. **صفائح**: الحجر العريض.
(2) **الركاب**: الإبل. **الركبان**: الراكب للبعير.



سلي اللَّيل عنّي [الطويل]

وقال[1]:

وَلَـوْ أَنَّـنِي أَسْـطِـيعُ صَـبْـراً وَسَـلْـوَةً تَنَاسَيْتُ لُبْنَى غَيْرَ مَا مُضْمِرٍ حِقْدَا[2]

وَلـكِنَّ قَـلْـبِي قَـدْ تَـقَـسَّـمَـهُ الـهَـوَى شَتَاتاً فَمَا أُلْفَى صَبُوراً وَلا جَلْدَا[3]

سَلِي اللَّيْلَ عَنِّي كَيْفَ أَرْعَى نُجُومَهُ وَكَيْفَ أُقَاسِي الهَمَّ مُسْتَخْلِياً فَرْدَا

كَأَنَّ هُبُوبَ الرِّيحِ مِنْ نَحوِ أَرْضِكُمْ يُثِيرُ فُتَاتَ المِسْكِ والعَنْبَرَ النَّدَّا[4]

الحبُّ داءٌ شديد [الخفيف]

مرض قَيس فعاده العُوَّاد مستفسرين منه عن سبب علَّته فلما تماثل للشفاء وغادر سريره، طفق ينشد قائلاً[5]:

عِيدَ قَيْسٌ مِنْ حُبِّ لُبْنَى وَلُبْنَى دَاءُ قَيْسٍ، والـحُبُّ دَاءٌ شَـدِيـدُ[6]

---

(1) المصدر: تاريخ الإسلام: ٣/ ٦٢.
(2) أسطيع: أستطيع.
(3) قسَّم الشيء: جزأه. شتَّ شتاتاً: تفرق.
(4) ثار: ارتفع. المسك: الطيب. العنبر: طيب. النَّدُّ: عود يتبخر به.
(5) المصدر: الأغاني: ٩/ ١٩٤. الوافي بالوفيات: ٧/ ١٨٣.
(6) عيد: من العيادة وهي زيارة المريض.

وَإِذَا عَـادَنِـي الـعَـوَائِـدُ يَـوْمـاً   قَـالَـتِ العَـيْـنُ: لا أَرَى مَـنْ أُرِيـدُ[1]
لَـيْـتَ لُـبْـنَـى تَـعُـودُنِـي ثُـمَّ أَقْـضِـي   أَنَّـهَـا لاَ تَـعُـودُ فِـيـمَـنْ يَـعُـودُ[2]
وَيْـحَ قَـيْـسٍ لَـقَـدْ تَـضَـمَّـنَ مِـنْـهَـا   دَاءَ خَـبْـلٍ فـالـقَـلْـبُ مِـنْـهُ عَـمِـيـدُ[3]

أوجع البين قلبي [الطويل]

وقيس هو القائل أيضاً في معنى شعور العاشق بالتشاؤم لدى سماعه لصوت الغراب[4]:

لَعَمْرِي لَقَدْ صَاحَ الغُرَابُ بِبَيْنِهِمْ   فَأَوْجَعَ قَلْبِي بِالحَدِيثِ الذي يُبْدِي[5]
فَقُلْتُ لَهُ: أَفْصَحْتَ، لاَ طِرْتَ بَعْدَهَا   بِرِيشٍ! فَهَلْ لِلْبَيْنِ وَيْحَكَ مِنْ رَدِّ؟[6]

قلبي للبنى ما حييت ودود

يقول قيس مخبراً لبنى بأنّه عليلُ الجسم، والرُّوح، منذ أن تركَته وما يزال، وأنشدها أبياتاً من قصيدته الدَّالِيَّة التي يقول فيها: [الطويل]

أُعـالِـجُ مِـنْ نَـفْـسِـي بَـقَـايـا حُـشَـاشَـةٍ   عَـلـى رَمَـقٍ والـعَـائـدَاتُ تَـعُـودُ

---

(1) **العوائد**: ج عائدة: الزائرة.
(2) **أقضي**: أموت.
(3) **ويح**: كلمة ترحم وتوجع. **خبل**: أفسد عقله. **العميد**: المريض لا يستطيع الجلوس.
(4) المصدر: الأغاني: ١٨/ ١٢٥.
(5) **لعمري**: العمر ج أعمار: الدِّين، **البين**: الفرقة.
(6) **أفصح**: بيَّن مراده.

فإنْ ذُكِرَتْ لُبنى هَشَشْتُ لِذِكرها كما هَشَّ للثَّدِي الدّرورِ وَلِيدُ[1]
أُجِيبُ بِلُبْنى مَنْ دَعانِي تَجَلُّداً وَبِي زَفَراتٌ تَنْجَلِي وَتَعُودُ[2]
تُعِيدُ إلى رُوحِي الحَيَاةَ وإنَّنِي بِنَفْسِي لو عايَنْتَنِي لأَجُوَدُ[3]
ألا لَيْتَ أيّاماً مضينَ تَعودُ فإنْ عُدْنَ يوماً إنّني لَسَعِيدُ[4]
سَقى دارَ لُبنى حيث حَلّتْ وَخَيَّمَتْ مِنَ الأرْضِ مُنْهَلُّ الغَمامِ رَعِيدُ[5]
على كُلِّ حالٍ إنْ دَنَتْ أو تَباعَدَتْ فإنْ تَدْنُ مِنّا فالدُّنُوُّ مَزِيدُ[6]
فَلا اليأسُ يُسْلِينِي وَلا القُرْبُ نافِعِي وَلُبْنى مَنُوعٌ ما تَكادُ تَجُودُ[7]
كأنّي مِنْ لُبْنى سليمٌ مُسَهَّدٌ يَظَلُّ على أَيْدِي الرِّجالِ يُمِيدُ[8]
رَمَتْنِي لُبَيْنى في الفُؤادِ بِسَهْمِها وَسَهْمُ لبينى للفُؤادِ صَيُودُ[9]
سَلا كُلُّ ذِي شجوٍ علمتُ مكانَهُ وقلبي للبنى ما حَيِيتُ ودودُ
وقائلةٍ: قد ماتَ، أو هو مَيِّتٌ وللنَّفْسِ مِنّي أنْ تَفِيضَ رَصِيدُ[10]
أُعالِجُ مِنْ نَفْسِي بقايا حشاشةٍ على رَمَقٍ والعائداتُ تعودُ[11]

---

(1) هش: تبسم.
(2) جلد: قوة وصبر وصلابة.
(3) عاينتني: أبصرتني.
(4) ألا: حرف استفتاح.
(5) الغمام: الغيم الماطر، السحاب، حلَّتْ: نزلت.
(6) الدنوّ: القُرْب.
(7) يسليني: ينسيني.
(8) سليم: ملدوغ.
(9) السهم (هنا): كناية عن النظرة.
(10) تفيض: تخرج، تزهق.
(11) العائدات: اللواتي يزرن المريض.

فريدٌ في الوجدِ

ويقول:

فَـمـا وَجَـدَتْ وجـدي بِـهـا أُمُّ واحِـدٍ وَلا وَجَدَ النَّهْدِيُّ وَجْدِي عَلى هِنْدِ[1]
وَلا وَجَدَ العُذْرِيُّ عُرْوَةٌ في الهَوى كَوَجْدِي وَلا مَنْ كان قَبْلِي وَلا بَعْدِي

تعلَّق روحي روحها [الطويل]

وقال ملخصاً في تلك الأبيات سمات الحبّ العذري[2]:

تَـعَـلَّـقَ رُوحِـي رُوحـهـا قَـبْـلَ خَـلْـقِـنـا ومن بعدما كُنّا نِطافاً وفي المَهْدِ[3]
فـزادَ كَـمـا زِدنـا فـأَصْـبَـحَ نـامِـيـاً فلَيْسَ وإنْ مُتْنا بمنصرم العَهْدِ[4]
ولَـكِـنَّـهُ بـاقٍ عـلـى كُـلِّ حـادِثٍ وزائِرُنا في ظُلْمَةِ القَبْرِ واللَّحْدِ[5]
يَكادُ حَبابُ الماءِ يخدش جلدها إذا اغتسَلَت بالماءِ مِنْ رِقَّةِ الجِلْدِ[6]
وإِنِّـيَ أَشْـتـاقُ إِلـى رِيـحِ جَـيْـبِـهـا كما اشتاقَ إدْريسُ إلى جَنَّةِ الخُلْدِ[7]
ولـو لَبستْ ثوباً مِنَ الوَرْدِ خالِصاً لَخَدَّشَ مِنها جلدها ورَقُ الوَرْدِ[8]

---

(1) وجد بها: أحبها حباً شديداً.
(2) المصدر: الأغاني: ٩/ ١٩٤. عيون الأخبار: ٤/ ١٤٥.
(3) النطفة: الماء الصافي.
(4) منصرم: منقطع.
(5) اللحد: القبر.
(6) الحباب: الفقاقيع التي تعلو الماء أو الخمر.
(7) الريح: ج أرواح: الشيء الطيب الرائحة. الجيب: القلب.
(8) خدَّش ورق الورد جلدها: كناية عن نعومتها، وغنجها.

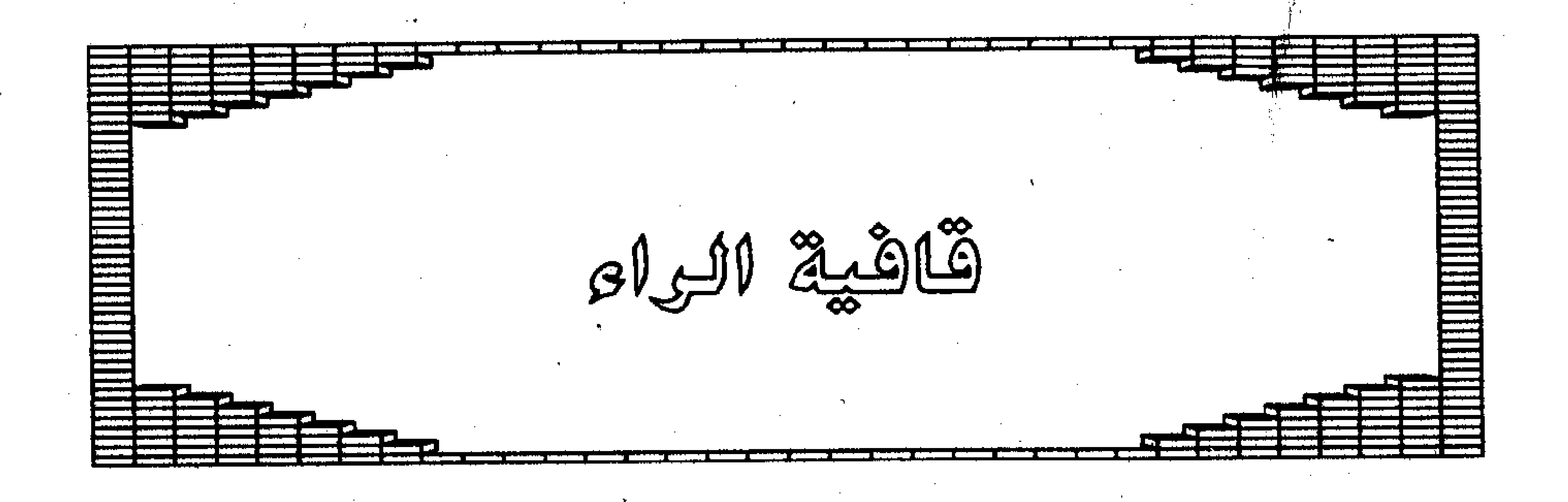
يُثَقِّلها لُبْس الحَرير لِلِينِها   وتَشْكُو إلى جاراتِها ثِقَلَ العِقْدِ
وأَرْحَمُ خَدَّيْها إذا ما لَحَظْتُها   حِذاراً لِلَحْظِي أَنْ يؤَثِّرَ في الخَدِّ

الحبُّ حَرٌّ ليس لهُ برد [الطويل]

وقد أجاد قيس حين قال[1]:

وفي عُروةَ العُذْرِيِّ إنْ مُتُّ أَسْوةٌ   وعمرو بن عَجْلانَ الَّذي قتلت هِنْدُ[2]
وبي مثل ما قد نابه غير أَنَّني   إلى أَجَلٍ لم يأْتِني وَقْتَهُ بَعْدُ[3]
هل الحُبُّ إلَّا عَبْرةٌ ثم زَفْرةٌ   وحَرٌّ على الأَحشاءِ ليس له بَرْدُ
وفَيْضُ دموعٍ تستهلُّ إذا بدا   لنا علمٌ مِنْ أرضِكم لم يكنْ يبدو

(1) المصدر: الأمالي: ٢/ ٢١٩. تاريخ الإسلام: ٣/ ٦٤.
(2) **عروة العذري**: أحد متيّمي العرب وهو صاحب عفراء.
(3) **نابه**: أصابه ونزل به.



اضبِرْ ما لك فيها أجر [البسيط]

جعل قيس يعاتب نفسه بعد أن طلّق لُبناه. فها هو يقول في إحدى مقطوعاته(1):

وَيْلِي وعَوْلِي وَمَا لِي حِينَ تُفْلِتُنِي   مِنْ بَعْدِ مَا أَحْرَزَتْ كَفِّي بِهَا الظَّفَرَا(2)
قَدْ قَالَ قَلْبِي لِطَرْفِي وَهُوَ يَعْذِلُهُ:   هَذَا جَزَاؤُكَ مِنِّي فَاكْدُمِ الحَجَرَا(3)
قَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْهَا لَوْ تُطَاوِعُنِي   فاصْبِرْ فَمَا لَكَ فِيهَا أَجْرُ مَنْ صَبَرَا(4)

حبّي لديه داثر [الطويل]

ولقد طرف قيس وأحسن وأجاد وذلك من خلال قوله المتّسِم بالجدّة والعفّة والرّونق، والصفاء(5):

بِنَفْسِيَ مَنْ قَلْبِي لَهُ الدَّهْرَ ذَاكِرُ   ومَنْ هُوَ عَنِّي مُعْرِضُ القَلْبِ صَابِرُ(6)

---

(1) المصدر: الأغاني: ٩/ ١٩١.
(2) **الظفر**: النجاح. **العول**: الصراخ.
(3) **لطرفي**: لعيني. **الكدم**: العضّ بمقدّم الفم.
(4) **أنهاك**: أمنعك.
(5) المصدر: الأغاني: ٩/ ٢١١.
(6) **بنفسي**: يعني: أفديه بنفسي. **معرض القلب**: صدّ.

وَمَــنْ حُـبُّـهُ يَـزْدَادُ عِـنْـدِي جِـدَّةً ... وَحُبِّي لَدَيْهِ مُخْلِقُ العَهْدِ دَاثِرُ[1]

خذوا بثأري [الطويل]

ولمّا بلغ الأسى بقيس مبلغاً لا يحتمل ولا يطاق، هتف قائلًا[2]:

خُذُوا بِدَمِي - إِنْ مُتُّ - كُلُّ خَرِيدَةٍ ... مَرِيضَةِ جَفْنِ العَيْنِ والطَّرْفُ فاتِرُ[3]

هجرانُ لُبنى مُنْكَر [الطويل]

وإننا لنرى شاعرنا كثيراً ما كان يقف منشداً وذلك بعدما طلّق لُبنى. فها هو يقول هذا القول المتسم بالرِّقّة والعفّة ودموعه تسيل مدرارة على خدّيه[4]:

أَرَى بَيْتَ لُبْنَى أَصْبَحَ اليَوْمَ يُهْجَرُ ... وَهِجْرَانُ لُبْنَى . يَا لَكَ الخَيْرُ . مُنْكَرُ[5]

أَتَبْكِي عَلَى لُبْنَى وأَنْتَ تَرَكْتَها؟ ... وكُنْتَ عَلَيْهَا بالمَلا أَنْتَ أَقْدَرُ[6]

فإِنْ تَكُنِ الدُّنْيَا بِلُبْنَى تَقَلَّبَتْ ... عَلَيَّ فَلِلدُّنْيَا بُطُونٌ وأَظْهُرُ[7]

لَقَدْ كَانَ فِيهَا لِلأَمَانَةِ مَوْضِعٌ ... ولِلْكَفِّ مُرْتَادٌ ولِلعَيْنِ مَنْظَرُ[8]

---

(1) الجدّة: صار جديداً. المخلق: البالي.
(2) المصدر: محاضرات الأدباء: ٢/ ٢٦.
(3) الخريدة: البكر الحيية. الطّرف: العين. فتر: سكن.
(4) المصدر: الأغاني: ٩/ ٢٠٥.
(5) يا لك الخير: دعاء للآخر. منكر: قبيح.
(6) المَلا: الصحراء، المتسع من الأرض.
(7) تقلّبت: تغيّرت، تفرقت.
(8) مرتاد: موضع ارتياد، ذهاب وإياب.

وَلِلْحَائِمِ العَطْشَانِ رِيٌّ بِرِيقِهَا ... ولِلْمَرِح المُخْتَالِ خَمْرٌ وَمُسْكِرُ[1]
كَأَنِّي فِي أُرْجُوحَةٍ بَيْنَ أَحْبُلٍ ... إِذَا ذُكْرَةٌ مِنْهَا عَلَى القَلْبِ تَخْطُرُ[2]

لا نعيم بعدك [الطويل]

ولمّا منعه قومه من الإلمام بلُبنى، وقع نظره ذات مرّةٍ وهو سائر في الطريق على غراب واقع على الأرض آخذ في النّعاق الشديد فتطيّر منه كل التّطيّر، ففزع حينذاك إلى القوافي، فقال[3]:

وَدِدْتُ مِنَ الشَّوْقِ الذي بِي أَنَّنِي ... أُعَارُ جَنَاحَيْ طَائِرٍ فَأَطِيرُ[4]
فَمَا فِي نَعِيمٍ بَعْدَ فَقْدِكَ لَذَّةٌ ... وَلا فِي سُرُورٍ لَسْتِ فِيهِ سُرُورُ[5]
وإِنَّ امْرَأً فِي بَلْدَةٍ نِصْفُ نَفْسِهِ ... وَنِصْفٌ بِأُخْرَى إِنَّهُ لَصَبُورُ[6]
تَعَرَّفْتُ جُثْمَانِي أَسِيراً بِبَلْدَةٍ ... وَقَلْبِي بِأُخْرَى غَيْرَ تِلْكَ أَسِيرُ
أَلا يَا غُرَابَ البَيْنِ وَيْحَكَ نَبِّنِي ... بِعِلْمِكَ فِي لُبْنَى وَأَنْتَ خَبِيرُ[7]
فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تُخْبِرْ بِشَيْءٍ عَلِمْتَهُ ... فَلا طِرْتَ إِلَّا والجَنَاحُ كَسِيرُ
وَدُرْتَ بِأَعْدَاءٍ حَبِيبُكَ فِيهِمُ ... كَمَا قَدْ تَرَانِي بالحَبِيبِ أَدُورُ[8]

---

(1) المرِح: شديد الفرح.
(2) ذُكرة: ذكرى، تذكّر.
(3) المصدر: الشعر والشعراء: ٣٩٩. الأغاني: ٢/ ٨٩ و٩/ ١٨٦.
(4) وددت: أحببت.
(5) هنا يظهر شوقه لحبيبته في أبهى صورة.
(6) تمثيل لحالته التي يحياها.
(7) نبّني: الأصل: نبّئني: أخبرني.
(8) دعاء على غراب البين بكسر الجناح منه.

ألا يا غراب البين [الطويل]

بعد أن طلّق قيس لُبنى، أُدخلت هودجها، فرحلت وهي تبكي، فتبعها قيس، ثمّ قال بعد حين[1]:

أَلاَ يَا غُرَابَ البَيْنِ هَلْ أَنْتَ مُخْبِرِي   بِخُبْرٍ كَمَا خَبَّرْتَ بِالنَّأْيِ وَالشَّرِّ[2]
وَخَبَّرْتَ أَنْ قَدْ جَدَّ بَيْنٌ وَقَرَّبُوا   جِمَالاً لِبَيْنٍ مُثْقَلاتٍ مِنَ الغَدْرِ[3]
وَهِجْتَ قَذَى عَيْنٍ بِلُبْنَى مَرِيضَةٍ   إِذَا ذُكِرَتْ فَاضَتْ مَدَامِعُهَا تَجْرِي[4]
وَقُلْتَ: كَذَاكَ الدَّهْرُ مَا زَالَ فَاجِعاً   صَدَقْتَ! وَهَلْ شَيْءٌ بِبَاقٍ عَلَى الدَّهْرِ؟[5]

سأبكي على نفسي [الطويل]

وها هو قيس يقول طارقاً معنى تأنف المحب العاشق من أقوال الوشاة، وتهديد أمير المدينة بمعاقبته إن هو ألمّ بحي محبوبته لُبنى أو ظل يشبّب بها في أشعاره[6]:

فإن يحجبوها أو يَحُلْ دون وَصْلها   مقالَةُ واشٍ أو وَعيدُ أَميرِ
فلم يمنعُوا عينيَّ من دائمِ البُكَا   ولَنْ يُذْهبوا ما قد أَجَنَّ ضَميري[7]

---

(1) المصدر: الأغاني: ٢/ ٩١ و٩/ ١٨٦.
(2) خبر الشيء: علمه.
(3) مثقلات: محملات.
(4) فاضت: سالت.
(5) الدهر: الزمان.
(6) المصدر: الشعر والشعراء: ٣٩٩. الزهرة: ١٠٥.
(7) أجنّه: ستره.

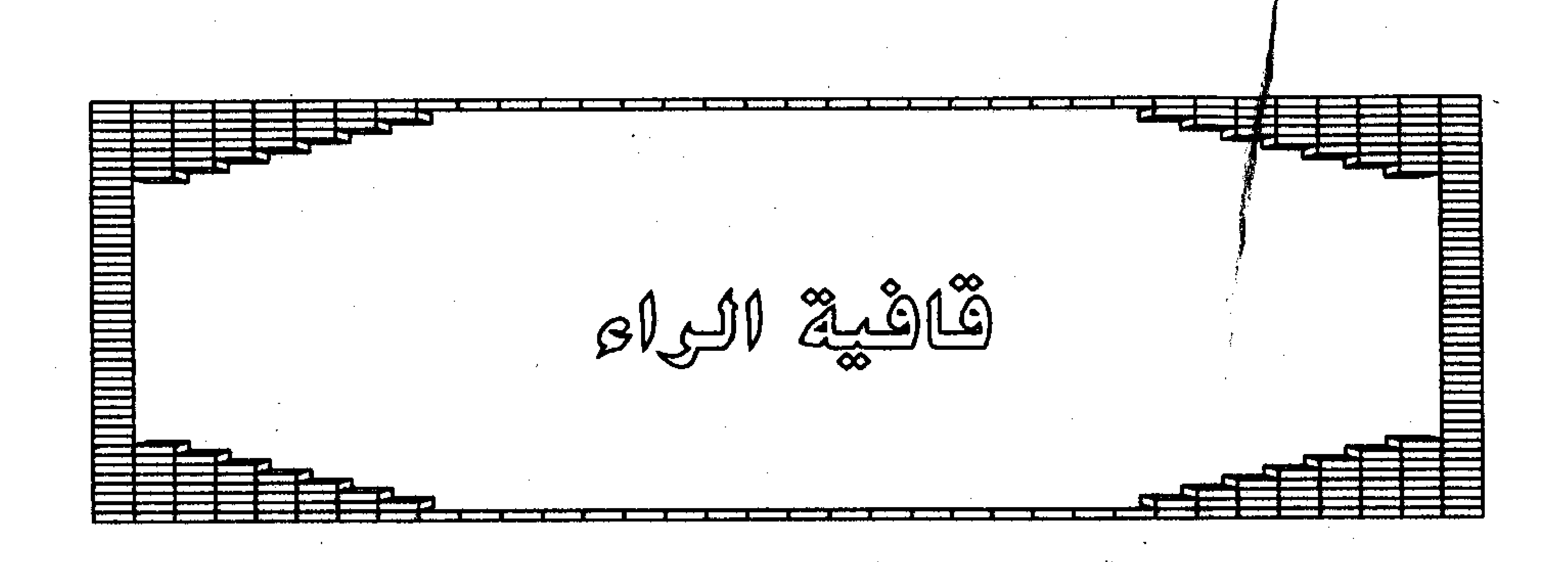
إلى الله أشكو ما ألاقي من الهوى ومِن كُرَبٍ تعتادني وزَفيرِ[1]
ومِنْ حَرَقٍ للحُبِّ في باطنِ الحشى بأنعَم حالَيْ غبطةٍ وسُرُورِ
فما بَرِحَ الواشون حتّى بدَت لنا بطون الهوى مقلوبةً بظُهُورِ[2]
لقد كُنْتِ حَسْبَ النّفسِ لو دامَ وَصْلُنا ولَكنَّما الدُّنيا مَتَاعُ غُرُورِ[3]
سأبكي على نفسي بعينٍ غزيرَةٍ بكاءَ حزينٍ في الوَثاقِ أَسِيرِ
وكُنّا جميعاً قبل أنْ يظهر النّوى بأنْعَمِ حالَيْ: غبطةٍ وسرورِ

إذا شبهتُها بالبدر عبتها [الطويل]

وقال أيضاً[4]:

إذا عِبْتُها شبهتها البدر طالعاً وحَسْبُكَ من عَيْبٍ لها شَبَهُ البَدْرِ[5]
لقد فُضِّلَتْ لُبْنَى على النّاسِ مِثلما على ألف شَهْرٍ فُضِّلَتْ ليلةُ القَدْرِ[6]
إذا ما مشتْ شبراً من الأرضِ أزحفت من البُهْرِ حتى ما تزيد على شِبْرِ
لها كَفَلٌ يَرْتَجُّ منها إذا مَشَتْ ومَتْنٌ كَغُصنِ البان مُضْطَمِرُ الخَصْرِ

(1) كُرب: ج كربة: ضيق، مشقّة.
(2) الواشون: النمامون ج واشٍ: نمّام.
(3) حسب النفس: الحسب: المال.
(4) المصدر: الأغاني: ٩/ ١٩٥. تاريخ الإسلام: ٣/ ٦٤.
(5) حسبك: يكفيك.
(6) إشارة إلى الآية الكريمة من سورة القدر: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾.



قافية الراء

صَدَعْتِ القلب [الوافر]

وقال[1]:

صَـدَعْـتِ الـقَـلْـبَ ثـمّ ذَرَزتِ فـيـه هـواكِ فَـلِـيـمَ فـالـتَـأَمَ الـفُـطُـورُ[2]
تَـغَـلْـغَـلَ حـيـث لـم يـبـلـغ شَـرابٌ ولا حُـزنٌ ولـم يـبـلـغ سـرورُ[3]

يا غراب لونُك شاحب [الطويل]

وقال[4]:

أَلا يا غُراب البَيْن لَوْنكَ شاحِبٌ وأَنْـتَ بـلَـوْعـاتِ الـفِـراقِ جَـدِيـرُ[5]
فإِن كان حَقّاً ما تَقُول فأَصْبحَتْ هـمـومُـكَ شَـتَّـى بَـثُّـهُـنَّ كَـثِـيـرُ
ودرتَ بـأَعـداءِ حَـبِـيـبَـكَ فـيـهـم كـمـا قـد تـرانـي بـالـعـدوّ أَدورُ[6]

---

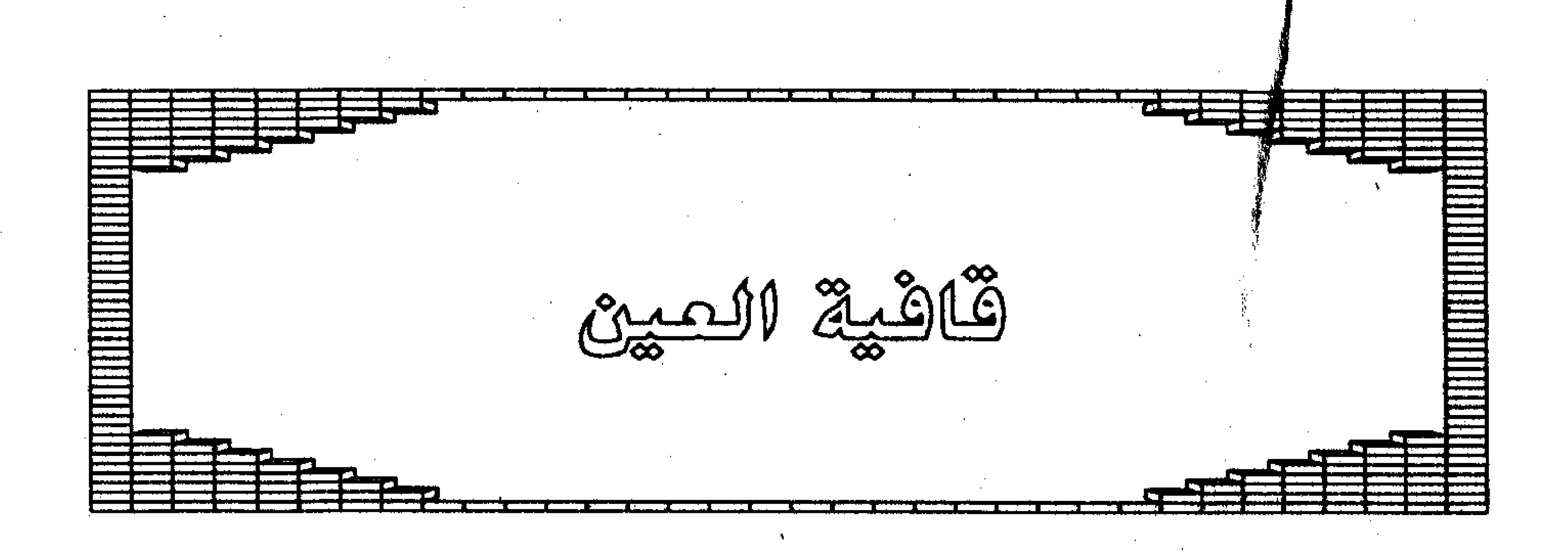
(1) المصدر: الأغاني: ٩/ ١٩٠.
(2) صدع: شقّ. صدع الليل: مشى فيه. ذرّ: بذر. فليم: مجهول من اللوم. الفطور: ج فطر الشق.
(3) تغلغل: وصل إلى الأعماق.
(4) المصدر: الزهرة: ٢٤٩. الأمالي: ١/ ١٨٣. وهذه الأبيات تنسب لجميل بثينة.
(5) شاحب: متغيّر.
(6) درت: تجوّلت.

لن أبوحَ بسرِّكِ [الطويل]

قال وأنشدنا أبو بكر بن الأنباري قال أنشدني أبي رحمه الله لقيس بن ذريح(1):

لو أَنَّ امرَأً أخفى الهوى مِنْ ضَمِيره لَمُتُّ ولم يَعْلَمْ بذاكَ ضَمِيرُ
وَلكِنْ سألقى الله والنَّفْسُ لم تبح بسرِّكِ والمُسْتَخْبِرُونَ كثيرُ

(1) المصدر: الأمالي: ٢/١٧٦. وهذه الأبيات مما يُنسب لقيس بن ذَريح ولغيره من الشعراء العذريين.



أراجعةٌ يا لبنى أيامُنا [الطويل]

وقال[1]:

سأصرم لُبنى حَبْلَ وَصْلِكِ مُجْمِلاً — وإنْ كانَ صَرْمُ الحَبْلِ مِنْكِ يَرُوعُ[2]
وسَوْفَ أُسَلِّي النَّفْسَ عَنْكِ كما سَلا — عَن البَلَدِ النَّائِي البعيد نَزِيْعُ[3]
وإنْ مَسَّنِي لِلضُّرِّ منكِ كآبَةٌ — وإنْ نالَ جِسْمِي للفِراقِ خُشُوعُ[4]
أَراجِعَةٌ يا لُبنى أَيّامُنا الأُلى — بِذِي الطَّلْحِ أَمْ لا ما لَهُنَّ رُجُوعُ[5]
سَقى طَلَلَ الدَّارِ التي أَنْتُم بِها — حَياً ثُمَّ وَبْلٌ صَيِّفٌ وَرَبِيعُ[6]
يقولُون: صَبٌّ بالنساءِ مُوَكَّلٌ — وَما ذاكَ مِن فِعل الرِّجالِ بَدِيعُ[7]

(1) المصدر: الأمالي: ١/ ١٣٦. الأغاني: ٩/ ٢١٤. وهذه القصيدة تنسب لغير واحد من الشعراء.
(2) **مجملاً**: معتدلاً. **صرم الحبل**: انقطع.
(3) **سلا**: نسي. **نزيع**: أشرف على الموت.
(4) **الضُّرّ**: الشدة. **خشوع**: خضوع وذُلّ.
(5) **الطلح**: شجر عظام. **وذي الطلح**: اسم موضع.
(6) **الطلل**: الأثر. **الحيا**: المطر الخصب. **الويل**: المطر الشديد.
(7) **الصبّ**: العاشق ذو الولع الشديد. **البديع**: الذي لا مثيل له.

مضى زَمَنٌ والنَّاسُ يَسْتَشْفِعون بِي فهَلْ لِي إلى لُبْنى الغداةَ شَفِيعُ(1)
أَيا حَرَجات الحَيِّ كيف تَحَمَّلوا بِذِي سَلَمٍ لا جادَكُنَّ رَبِيعُ(2)
وخيماتُكِ اللاتي بمُنعرج اللِّوى بَلِينَ بِلًى لَمْ تُبْلَهُنَّ رُبُوعُ(3)
إلى اللهِ أَشكُو نِيَّةً شَقَّتِ العَصا هِيَ اليَوْمَ شَتَّى وَهْيَ أَمْسِ جميعُ(4)
وما كادَ قلبِي بعدَ أَيَّامِ جاوزَتْ إِليَّ بأَجْراع الثُّدِيِّ يَرِيعُ(5)
فإِنَّ انهمالَ العَيْنِ بالدَّمْعِ كُلَّما ذَكَرْتُكِ وَحْدِي خالياً لَسريعُ(6)
فَلَوْ لم يهجني الظاعنون لَهَاجَنِي حِمائِمُ وُرْقٌ في الدِّيارِ وقوعُ(7)
تَجاوَبْنَ فاسْتَبْكَيْنَ مَنْ كان ذا هَوًى نَوائِح ما تجري لَهُنَّ دُمُوعُ(8)
لَعَمْرُكَ إِنِّي يومَ جَرْعاءِ مالِكٍ لَعاصٍ لأَمْرِ المُرْشدين مُضِيعُ(9)
نَدِمْتُ علَى ما كانَ مِنِّي ندامَةً كَما يندَمُ المَغْبُونُ حِينَ يَبِيعُ(10)
إذا ما لحاني العاذِلاتُ بِحُبِّها أَبَتْ كَبِدٌ مِمَّا أَجِنُّ صَدِيعُ(11)

---

(1) **شفع**: سعى في مطلب فلان.
(2) **حرجات**: المكان الضيق الكثير الشجر. **ذو سلم**: اسم موضع.
(3) **المنعرج**: المنعطف. **اللوى**: ج ألواء: ما التوى وانعطف من الرمل. **بلي**: رث.
(4) **نية**: نوى: تباعد. **شقت العصا**: خالفتِ الجماعة. **شتى**: متفرقة.
(5) **أجراع**: الجرعة: الرملة الطيبة المنبت. **الثدي**: اسم موضع. **يريع**: يرجع.
(6) **انهمال**: انسكاب.
(7) **الظاعن**: الراحل. **هاج**: أثار. **حمائم ورق**: الأورق الذي لونه رمادي.
(8) **تجاوبن**: تحاورن. **ذا هوى**: ذا العشق.
(9) **لعمرك**: أسلوب قسم.
(10) **المغبون**: البائع الجاهل، أو المبتاع الغافل.
(11) **العاذلات**: ج عاذلة: لائمة. **صديع**: مصدوع: متشقق.

وكيف أطيعُ العاذِلاتِ ذِكرُها يُؤرِّقُني والعاذِلاتُ هُجُوعُ[1]
عَدِمْتُكِ من نَفْسٍ شَعاعٍ فإنَّني نَهَيْتُكِ عن هذا وأنتِ جميعُ[2]
فقرَّبْتِ لي غيرَ القريبِ وأَشرَفَتْ هناكَ ثنايا ما لَهُنَّ طُلُوعُ[3]
فضَعَّفَنِي حُبَّيْكِ حتى كأنَّني مِنَ الأَهْلِ والمالِ التِّلادِ خليعُ[4]
وحتَّى دَعانِي النَّاسُ أحمقَ مائقاً وقالوا مطيعٌ للضَّلالِ تَبُوعُ[5]

تقرُّ بقربها عيني [الوافر]

وقال[6]:

لعمركَ إنَّني لأُحِبُّ سَلْعاً لِرؤيتِها ومَنْ أكنافَ سَلْعِ[7]
تَقَرُّ بقربِها عيني وإنِّي لأَخشى أنْ تكون تُريدُ فَجْعِي[8]
حلفتُ بِرَبِّ مَكَّةَ والمُصَلَّى وأيدي السَّابحاتِ غَداةَ جَمْعِ[9]
لأنتِ على التَّنائي فاعلميه أَحَبُّ إليَّ مِنْ بَصَري وسَمْعِي[10]

---

(1) **هجوع**: نائمات.
(2) **شَعاع**: خائفة.
(3) **الثني**: أسنان مقدم الفم. **طلوع**: ظهور.
(4) **التلاد**: المال الموروث.
(5) **مائق**: أحمق غبيّ.
(6) المصدر: الأغاني: ١٣/ ١٥٥. معجم البلدان: ٣/ ١١٧. وهذه الأبيات تُنسب لغير قيس بن ذَريح أيضاً.
(7) **أكناف**: ما يحيط بالشيء. **سلع**: اسم جبل لهذيل، وجُبَيل بالمدينة.
(8) **فجعي**: وجعي بفقدها.
(9) **غداة الجمع**: يوم عرفة. **السوابح**: الخيل لسبحها بيديها في سيرها.
(10) **حبّ إليه**: صار حبيباً له.

هل لنا من رجوع [الخفيف]

وقال[1]:

بِتُّ والـهَـمُّ يـا لـبـيـنـى ضـجـيـعـي ... وجَـرَتْ مـذ نـأَيْـتِ عَـنّـي دُمُـوعِـي

وتَـنَـفَّـسْـتُ إذ ذكـرتـكِ حـتـى ... زالـت الـيـومَ عـن فـؤادي ضُـلُـوعِـي

أتـنـاسـاكِ كـي يَـرِيـع فـؤادِي ... ثـم يَـشْـتَـدُّ عـنـد ذاك وَلـوعـي[2]

يـا لـبـيـنـى فَـدَتـكِ نـفـسـي وأَهْـلِـي ... هـل لِـدَهْـرٍ مـضـى لنا مِـن رُجُـوعِ؟[3]

ليت لبنى تزورني [الطويل]

وقال[4]:

أَلا لَـيْـتَ لُـبْـنـى فـي خَـلاءٍ تَـزُورُنـي ... فَـأَشْـكُـو إِلَـيْـهـا لَـوْعَـتِـي ثُـمَّ تَـرْجِـعُ[5]

صَـحَـا كُـلُّ ذِي لُـبٍّ وَكُـلُّ مُـتَـيَّـمٍ ... وَقَـلْـبِـي بِـلُـبْـنَـى مَـا حَـيِـيـتُ مُـرَوَّعُ[6]

فَـيَـا مَـنْ لِـقَـلْـبٍ ما يُـفِـيـقُ مِـنَ الـهَـوَى ... وَيَـا مَـنْ لِـعَـيْـنٍ بِـالـصَّـبـابَـةِ تَـدْمَـعُ[7]

---

(1) المصدر: الأغاني: ٩/ ١٨٧.
(2) راع: رجع.
(3) هذا المعنى مكرّر عند الشعراء العذريين.
(4) المصدر: الأغاني: ٩/ ١٩١.
(5) **الخلاء**: المكان الفارغ.
(6) **اللُّبُّ**: العقل.
(7) **الصبابة**: رقّة الشوق والهوى.

فيا قلبُ صبراً [الطويل]

وقال[1]:

عَفَا سَرِفٌ مِنْ أَهْلِهِ فَسُرَاوعُ ... فَجَنْبَا أَرِيكٍ فَالتِّلاَعُ الدَّوافِعُ[2]
فَغَيْقَةُ فَالأَخْيَافُ أَخْيَافُ ظَبْيَةٍ ... بِهَا مِنْ لُبَيْنَى مَخْرَفٌ وَمَرَابِعُ[3]
لَعَلَّ لُبَيْنَى اليومَ حُمَّ لِقَاؤُهَا ... بِبَعْضِ البِلاَدِ إِنَّ مَا حُمَّ وَاقِعُ[4]
بِجزْعٍ مِنَ الوَادِي قَلِيلٌ أَنِيسُهُ ... خلاءٌ تَخَطَّته العُيُونُ الخَوَادِعُ[5]
ولَمَّا بَدَا مِنْهَا الفِرَاقُ كَمَا بَدَا ... بِظَهْرِ الصَّفَا الصَّلْدِ الشُّقُوقُ الصَّوادِعُ[6]
تَمَنَّيْتَ أَنْ تَلْقَى لُبَيْنَاكَ والمُنَى ... تُعَاصِيكَ أَحْيَاناً وَحِيناً تُطَاوِعُ[7]
فَلَيْسَ مُحِبٌّ دائماً لحبيبه ... ولا ثِقَةٌ إِلَّا لَهُ الدَّهْرُ فَاجِعُ[8]
وَطَارَ غُرابُ البَيْنِ وانْشَقَّتِ العَصَا ... بِبَيْنٍ كَمَا شَقَّ الأَدِيمَ الصَّوالِعُ[9]
أَلاَ يَا غُرَابَ البَيْنِ قَدْ طِرْتَ بالذي ... أُحَاذِرُ مِنْ لُبْنَى فَما أَنْتَ صانِعُ[10]

---

(1) المصدر: الأمالي: ٢/ ٢١٤. الأغاني: ٩/ ٢١٣.
(2) **سَرِف**: اسم موضع. **سراوع**: اسم موضع. **الدوافع**: الأرض السهلة حيث تندفع السيول.
(3) **غيقة**: اسم موضع. **مخرف**: حيث يجنى الثمر. **المربع**: مكان اجتماع الناس في الربيع. **أخياف**: الخيف: الوادي وما كان مجنباً عن طريق الماء.
(4) **حُمّ**: قضي، حُمَّ الشيء: قرب.
(5) **الجزع**: مكان من الوادي. **الخوادع**: ج خادع: وهو مَن أظهر خلاف الواقع.
(6) **بدا**: ظهر وبان. **الصفا**: الصخر.
(7) **تعاصيك**: تعصيك.
(8) **فاجع**: مصيب له بفاجعة.
(9) **شق العصا**: خالف القوم.
(10) **أحاذر**: أخاف أن أفقده.

وإنَّكَ لَوْ أَبْلَغْتَها قِيْلِيَ: اسْلَمِي طَوَتْ حَزَناً وَارْفَضَّ مِنْهَا المَدَامِعُ(1)
تُبَكِّي عَلَى لُبْنَى وَأَنْتَ تَرَكْتَهَا وَكُنْتَ كآتٍ حتفهُ وَهْوَ طَائِعُ(2)
فَلاَ تَبْكِيَنْ فِي إثْرِ لُبْنى نَدَامَةً وقَدْ نَزَعْتُها مِنْ يَدَيْكَ النَّوَازِعُ(3)
فَلَيْسَ لأَمْرٍ حَاوَلَ اللهُ جَمْعَهُ مُشِتٌّ وَلاَ مَا فَرَّقَ اللهُ جَامِعُ(4)
طَمِعْتَ بِلَيْلَى أَنْ تَرِيعَ وَإِنَّمَا تُقَطِّعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ المَطَامِعُ(5)
كَأَنَّكَ لَمْ تَقْنَعْ إِذَا لَمْ تُلاقِهَا وَإِنْ تَلْقَهَا فالقَلْبُ رَاضٍ وقَانِعُ(6)
فَيَا قَلْبُ خَبِّرْنِي إِذَا شَطَّتِ النَّوَى بِلُبْنَى وَبانَتْ عَنْكَ مَا أَنْتَ صَانِعُ(7)
أَتَصْبِرُ لِلْبَيْنِ المُشِتِّ مَعَ الجَوَى أَمْ أَنْتَ امْرُؤٌ نَاسِي الحَيَاءِ فَجَازِعُ(8)
فَمَا أَنَا إِنْ بَانَتْ لُبَيْنَى بِهَاجِعٍ إِذَا مَا اسْتَقَلَّتْ بِالنِّيَامِ المَضَاجِعُ(9)
وَكَيْفَ يَنَامُ المَرْءُ مُسْتَشْعِرَ الجَوَى ضَجِيعَ الأَسَى فِيهِ نِكَاسٌ رَوَادِعُ(10)
فَلاَ خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تُوَاتِنَا لُبَيْنَى وَلَمْ يَجْمَعْ لَنَا الشَّمْلَ جَامِعُ(11)

---

(1) قيلي: قولي. ارفضّ: ترشّش.
(2) حتفه: موته.
(3) النوازع: كوارث الدهر.
(4) مشتّ: متفرق.
(5) راع: رجع.
(6) قانع: مقتنع.
(7) شطّ: بَعُد.
(8) البين: الفرقة. جوى: الحرقة من العشق أو الحزن. الحياء: الحشمة.
(9) بانت: بَعُدت. هاجع: نائم.
(10) النكاس: معاودة المرض بعد الشفاء. ضجيع الأسى: يعني ضجيج الفراش.
(11) تواتنا: توافقنا، ونلتقي بها.

أَلَيْسَتْ لُبَيْنَى تَحْتَ سَقْفٍ يُكِنُّهَا وإِيَّـاي؟ هَـذَا إِنْ نَـأَتْ لِـي نَـافِـعُ(1)
وَيَـلْـبَسُـنَـا الـلَّـيْـلُ الـبَـهِـيـمُ إِذَا دَجَـا وَنُبْصِرُ ضَوْءَ الصُّبْحِ والفَجْرُ سَاطِعُ(2)
تَطَا تَحْتَ رِجْلَيْهَا بِسَاطاً وبَعْضَهُ أَطَاهُ بِرِجْلِي لَيْسَ يَطْوِيهِ مَانِعُ(3)
وَأَفْرَحُ إِنْ تُمْسِي بِخَيْرٍ وإِنْ يَكُنْ بِهَا الحَدَثُ العَادِي تَرُعْنِي الرَّوَائِعُ(4)
كَـأَنَّـكَ بِـدْعٌ لَـمْ تَـرَ الـنَّـاسَ قَـبْـلَـهَـا وَلَمْ يَطَّلِعْكَ الدَّهْرُ فِيمَنْ يُطَالِعُ(5)
فَقَدْ كُنْتُ أَبْكِي والنَّوَى مُطْمَئِنَّةٌ بِنَا وبِكُمْ مِنْ عِلْمِ مَا البَيْنُ صَانِعُ(6)
وَأَهْجُرُكُمْ هَجْرَ البَغِيضِ وَحُبُّكُمْ عَلَى كَبِدِي مِنْهُ كُلُومٌ صَوَادِعُ(7)
وأُشفِقُ مِنْ هجرانكم وتَرُوعني مخافة وشك البَيْنِ والشَّمْلُ جامعُ(8)
وَأَعْمِدُ لِلأَرْضِ التي مِنْ وَرَائِكُمْ لِيُرْجِعَنِي يَوْماً عَلَيْكِ الرَّوَاجِعُ(9)
فَيَا قَلْبُ صَبْراً واعْتِرَافاً لِمَا تَرَى وَيَا حُبَّهَا قَعْ بالذي أَنْتَ وَاقِعُ(10)
لَعَمْرِيَ مَنْ أَمْسَى وأَنْتِ ضَجِيعُهُ مِنَ النَّاسِ مَا اخْتِيرَتْ عَلَيْهِ المَضَاجِعُ(11)

---

(1) **يكنها**: يسترها.
(2) **البهيم**: الأسود. **دجا**: أظلم.
(3) **تطأ**: تدوس.
(4) **العادي**: المعتدي. **راعه**: أفزعه. **الروائع**: الكوارث.
(5) **البدع**: الغمر من الرجال الذي لم يجرب الأمور، **يطلعك الدهر**: يعلمك.
(6) **النوى**: التحول. **البين**: الفرقة والبعد.
(7) **البغيض**: المكروه. **الكلوم**: الجروح. **صوادع**: شقوق.
(8) **أشفق**: أخاف.
(9) **الرواجع**: الأسباب لرجوعي.
(10) **قع**: فعل أمر من الفعل «وقع».
(11) **ضجيعه**: بمعنى زوجته.

أَلاَ تِلْكَ لُبْنَى قَدْ تَرَاخَى مَزَارُهَا وَلِلْبَيْنِ غَمٌّ مَا يَزَالُ يُنَازِعُ[1]

إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا الجَوَى فَكَفَى بِهِ جَوَى حُرَقٍ قَدْ ضُمِّنَتْهَا الأَضَالِعُ[2]

أَبَائِنَةٌ لُبْنَى وَلَمْ تَقْطَعِ المَدَى بِوَصْلٍ وَلاَ صُرْمٍ فَيَيْأَسَ طَامِعُ[3]

يَظَلُّ نَهَارُ الوَالِهِينَ نَهَارَهُ وَتَهْدِنُهُ فِي النَّائِمِينَ المَضَاجِعُ[4]

وقد كنت قبل اليوم خلواً وإنما تَقَسَّمُ بَيْنَ الهَالِكِينَ المَصَارِعُ[5]

وَلَوْلاَ رَجاءُ القَلْبِ أَنْ تُسْعِفَ النَّوَى لَمَا حَبَسَتْهُ بَيْنَهُنَّ الأَضَالِعُ[6]

لَهُ وَجَبَاتٌ إِثْرَ لُبْنَى كَأَنَّهَا شَقَائِقُ بَرْقٍ فِي السَّحَابِ لَوَامِعُ[7]

نَهَارِي نَهَارُ النَّاسِ حتَّى إِذَا بَدَا لِيَ اللَّيْلُ هَزَّتْنِي إِلَيْكِ المَضَاجِعُ[8]

أُقَضِّي نَهَارِي بِالحَدِيثِ وَبِالمُنَى وَيَجْمَعُنِي باللَّيلِ والهَمّ جَامِعُ[9]

لَقَدْ ثبتت فِي القَلْبِ مِنكُمْ مَوَدَّةٌ كَمَا ثبتت فِي الرَّاحَتَيْنِ الأَصَابعُ[10]

أبى الله أن يلقى الرَّشادَ متيَّمٌ ألا كلُّ أمرٍ حُمَّ لا بدَّ واقِعُ

هُمَا بَرَّحَا بِي مُعْوِلَيْنِ كِلاهُمَا فُؤادٌ وَعَيْنٌ مَأْقُهَا الدَّهْرَ دَامِعُ[11]

---

(1) تراخى المزار: أبطأ وابتعد. البين: الفرقة. الغم: الحزن. ينازع: يشتاق.

(2) الجوى: الحرقة وشدة الوجد.

(3) الصرم: القطيعة.

(4) الوالهون: الشديدو الحزن. تهدنه: تهدئه، من الهدنة.

(5) تقسم: تفرق. المصرع: المسبّب للموت.

(6) النوى: البعد. الأضالع: الضلوع.

(7) وجبات: خفقات.

(8) بدا: ظهر.

(9) والهم: الواو واء المعيّة.

(10) مودّة: محبة.

(11) برّحاه: أتعباه وأجهداه. المعْوِل: الباكي النائح. مأق العين: مجرى الدمع ممّا يلي الأنف.

إذَا نَـحْـنُ أَنْـفَـدْنَـا الـبُـكَـاءَ عَـشِـيَّـةً فَمَوْعِدُنَا قَرْنٌ مِنَ الشَّمْسِ طالِعُ[1]

وَلِـلْـحُـبِّ آيـاتٌ تَـبَـيَّـنُ بـالـفَـتَـى شُحُوبٌ وَتَعْرَى مِنْ يَدَيْهِ الأَشَاجِعُ[2]

فَـمَـا كُـلُّ مَـا مَـنَّـتْـكَ نَـفْـسُـكَ خَـالِـياً تُلاقِي وَلاَ كُلُّ الـهَـوَى أَنْـتَ تَـابعُ[3]

تَـدَاعَـتْ لَـهُ الأَحْـزَانُ مِـنْ كُـلِّ وُجْـهَـةٍ فَحَنَّ كَمَا حَنَّ الظُّؤَارُ السَّوَاجِعُ[4]

وَجَـانَـبَ قُـرْبَ الـنَّـاسِ يَـخْـلُـو بِـهَـمِّـهِ وَعَـاوَدَهُ فِـيـهَـا هُـيَـامٌ مُـرَاجِـعُ[5]

أَرَاكَ اجْتَنَبْتَ الحَيَّ مِنْ غَيْرِ بِغْضَةٍ وَلَوْ شِئْتَ لَمْ تَجْنَحْ إِلَيْكَ الأَصَابعُ[6]

كَـأَنَّ بِـلاَدَ اللهِ مَـا لَـمْ تَـكُـنْ بِـهَـا . وإنْ كَانَ فِيهَا الخَلْقُ . قَفْرٌ بَلاقِعُ[7]

أَلاَ إِنَّـمَـا أَبْـكِـي لِـمَـا هُـوَ وَاقِـعٌ وَهَلْ جَزَعٌ مِنْ وَشْكِ بَيْنِكَ نَافِعُ[8]

أَحَـالَ عَـلَـيَّ الـهَـمُّ مِـنْ كُـلِّ جَـانِـبٍ وَدَامَتْ فَلَمْ تبرحْ عَلَيَّ الفَوَاجِعُ[9]

فَـمَـنْ كَـانَ مَـحْـزُونـاً غَـداً لِـفِـرَاقِـنَـا مِنَ الآنَ فَلْيَبْكِ لـمَـا هُـوَ وَاقِعُ[10]

---

(1) **أنفدنا**: أنفقنا.

(2) **الأشاجع**: أصول الأصابع. **تبين**: توضح.

(3) **خالياً**: وحيداً.

(4) **تداعت عليه الأحزان**: تجمعت. **حنّ**: اشتاق. **الظؤار**: العاطفة على الولد. **السواجع**: الكلام المقفى.

(5) **الهيام**: شدة العطش، وشدة العشق. **مُراجع**: من عاوده العشق.

(6) **البغض**: الكره الشديد.

(7) **قفر بلاقع**: صحراء.

(8) **وشك**: قرب.

(9) **أحال**: جعله مقصوراً. **الهمّ**: الحزن.

(10) **واقع**: حادث، نازل.

عيني على ما بي بذكراك تدمع [الطويل]

ويقول قيس مستعطفاً قلب لُبناه[1]:

أَلُبْنَى لَقَدْ جلَّتْ عَلَيْكِ مُصِيبَتِي ... غَـدَاة غَـدٍ إِذْ حَـلَّ مَـا أَتَـوَقَّـعُ[2]
تُـمَـنِّـيـنَـنـي نَـيْـلاً وَتَـلْـوِيـنَـنِـي بِـهِ ... فَـنَـفْـسِـي شَـوْقـاً كُـلَّ يَـوْمٍ تَـقَـطَّـعُ[3]
وَقَـلْـبُـكِ قَـطُّ مَـا يَـلِـيـنُ لِـمَـا يَـرَى ... فَـوَا كَـبِـدِي قَـدْ طَـالَ هَـذَا الـتَّـضَـرُّعُ[4]
أَلُـومُـكِ فِـي شَـأْنِـي وأَنْـتِ مُـلِـيـمَـةٌ ... لَـعَـمْـرِي وَأَجْـفَـى لِـلْـمُـحِـبِّ وَأَقْـطَـعُ[5]
أَخُـبِّـرْتِ أَنِّـي فِـيـكِ مَـيْـتُ حَـسْـرَتِـي ... فَـمَـا فَـاضَ مِـنْ عَـيْـنَـيْـكِ لِـلْـوَجْـدِ مَـدْمَـعُ[6]
ولَـكِـنْ لَـعَـمْـرِي قَـدْ بَـكَـيْـتُـكِ جَـاهِـداً ... وإِنْ كَـانَ دَائِـي كُـلُّـهُ مِـنْـكِ أَجْـمَـعُ[7]
صَـبِـيـحَـةَ جَـاءَ الـعَـائِـدَاتُ يَـعُـدْنَـنِـي ... فَـظَـلَّـتْ عَـلَـيَّ الـعَـائِـدَاتُ تَـفَـجَّـعُ[8]
فَـقَـائِـلَـةٌ: جِـئْـنَـا إِلَـيْـهِ وَقَـدْ قَـضَـى ... وَقَـائِـلَـةٌ: لاَ، بَـلْ تَـرَكْـنَـاهُ يَـنْـزِعُ[9]
فَـمَـا غَـشِـيَـتْ عَـيْـنَـيْـكِ مِـنْ ذَاكَ عَـبْـرَةٌ ... وَعَـيْـنِـي عَـلَـى مَـا بِـي بِـذِكْـرَاكِ تَـدْمَـعُ
إِذَا أَنْـتِ لَـمْ تَـبْـكِـي عَـلَـيَّ جِـنَـازَةً ... لَـدَيْـكِ فَـلاَ تَـبْـكِـي غَـداً حِـيـنَ أُرْفَـعُ[10]

---

(1) المصدر: الأغاني: ٩/ ٢٠٢.
(2) **جَلَّ**: كبر.
(3) **لوى بكلامه**: خالف به. **تقطع**: هو انقطاع النفس.
(4) **وا**: حرف نداء.
(5) **مليمة**: اسم الفاعل من ألامَ، **أجفى**: أبعد.
(6) **فاض**: سال وذرف.
(7) **لعمري**: ج أعمار: الدّين، تقال للقسم.
(8) **العائدات**: زوّارات للمريض. **تفجع**: تنزل به ملمة.
(9) **قضى**: مات.
(10) **الجنازة**: الميت.

فراقُ لبنى

[الوافر]

وقال أيضاً يشكو ألم الندم على تركه محبوبته[1]:

أَلاَ يـا شِبْـهَ لُـبْـنَـى لاَ تُـرَاعِـي وَلاَ تَـتَـيَـمَّـمِـي قُـلَـلَ الـقِـلاعِ[2]
فَـوَا كَـبِـدِي وَعَـاوَدَنِـي رُداعِـي وَكَـانَ فِـراقُ لُـبْـنَـى كـالـخِـدَاعِ[3]
تَـكَـنَّـفَـنِـي الـوُشَـاةُ فَـأَزْعَـجُـونِـي فَـيَـا لَـلـنَّـاسِ لِـلْـوَاشِـي الـمُـطَـاعِ[4]
فَـأَصْـبَـحْـتُ الـغَـدَاةَ أَلُـومُ نَـفْـسِـي عَـلَـى شَـيْءٍ وَلَـيْـسَ بِـمُـسْـتَـطَـاعِ[5]
كَـمَـغْـبُـونٍ يَـعَـضُّ عَـلَـى يَـدَيْـهِ تَـبَـيَّـنَ غَـبْـنَـهُ بَـعْـدَ الـبِـيَـاعِ[6]
بِـدَارِ مَـضِـيـعَـةٍ تَـرَكَـتْـكَ لُـبْـنَـى كَـذَاكَ الـحَـيْـنُ يُـهْـدَى لِـلْـمُـضَـاعِ[7]
وَقَـدْ عِـشْـنَـا نَـلَـذُّ الـعَـيْـشَ حِـيـنـاً لَـوَ أَنَّ الـدَّهْـرَ لِـلإِنْـسَـانِ رَاعِ[8]
وَلـكِـنَّ الـجَـمِـيـعَ إِلَـى افْـتِـراقٍ وَأَسْـبَـابُ الـحُـتُـوفِ لَـهَـا دَوَاعِ[9]

---

(1) المصدر: الأغاني ٩/ ١٩٢. الشعر والشعراء: ٤٠٠. الزهرة: ١٢٤.
(2) **يا شبه لبنى**: ينادي الظبية الهاربة. **تيمم**: قصد. **القلل**: ج قلة: أعلى الرأس والجبل.
(3) **الرُداع**: تغيير لون المرء من مرض أو همّ.
(4) **الوشاة**: ج واشٍ: نمام.
(5) **الغداة**: الصباح.
(6) **الغبن**: الخداع. **البياع**: ما يباع.
(7) **الحين** (بفتح الحاء): الهلاك.
(8) **راعٍ**: حافظ.
(9) **الحتوف**: ج حتف: الموت.

فدتكِ نفسي [الخفيف]

ومن أجمل ما قاله العشّاق في عصر قيس قوله[1]:

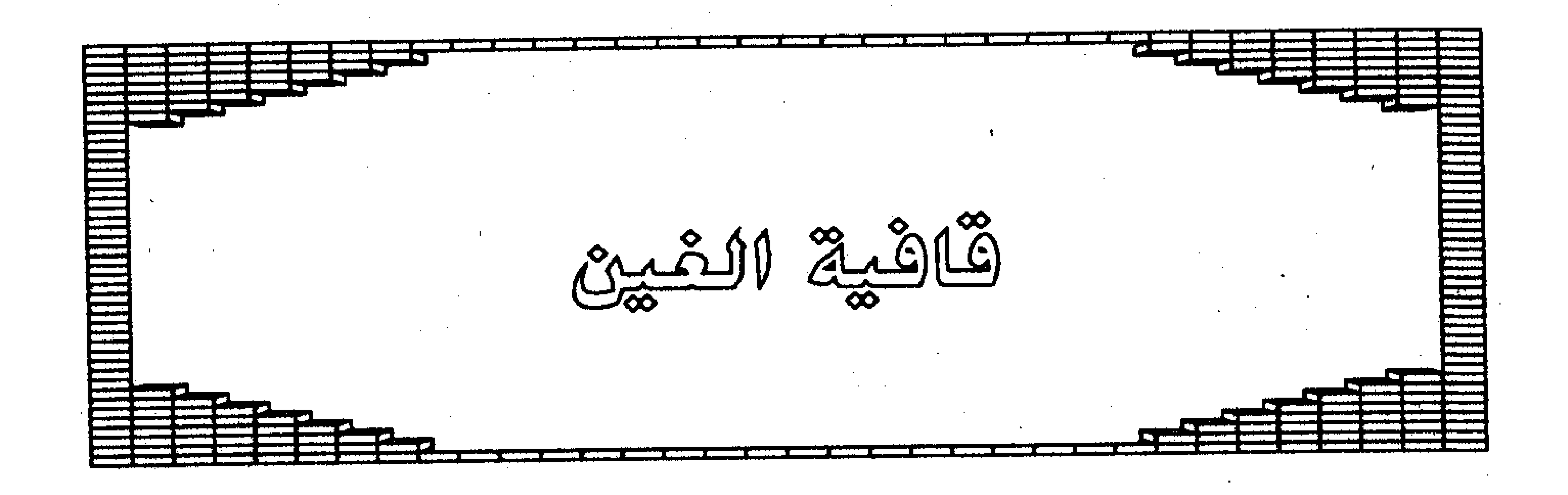
بِتُّ وَالهَمُّ يَا لُبَيْنَى ضَجِيعِي وَجرَتْ، مُذْ نَأَيْتِ عَنّي، دُمُوعِي[2]
وَتَنَفَّسْتُ إذْ ذَكَرْتُكِ حَتَّى زَالَتِ اليَوْمَ عَنْ فُؤَادِي ضُلُوعِي[3]
أَتَنَاسَاكِ كَيْ يُرِيغَ فُؤَادِي ثُمَّ يَشْتَدُّ عِنْدَ ذَاكَ وَلُوعِي[4]
يَا لُبَيْنَى فَدَتْكِ نَفْسِي وَأَهْلِي هَلْ لِدَهْرٍ مَضَى لَنَا مِنْ رُجُوعِ[5]

تأبى إليها النفس إلاّ تطلُّعا [الطويل]

وقال حين نصحه والده بالزواج بعد لبنى علّه يسلو عنها[6]:

لقد خِفْتُ ألاّ تقنعَ النَّفْسُ بعدها بشيءٍ مِنَ الدُّنيا إنْ كانَ مَقْنَعا
وأزجر عنها النَّفس إذ حِيلَ دُونَها وتأبى إليها النَّفس إلّا تَطَلُّعا

(1) المصدر: الأغاني: ٩/ ١٨٧.
(2) جرت: سالت.
(3) مبالغة مستحبّة عند الشعراء.
(4) يريغ: يميل. الولوع: الاستخفاف بالحقّ والذهاب به.
(5) فدى: فداه: أعطى شيئاً فأنقذه.
(6) المصدر: الأغاني: ٩/ ١٩٦.



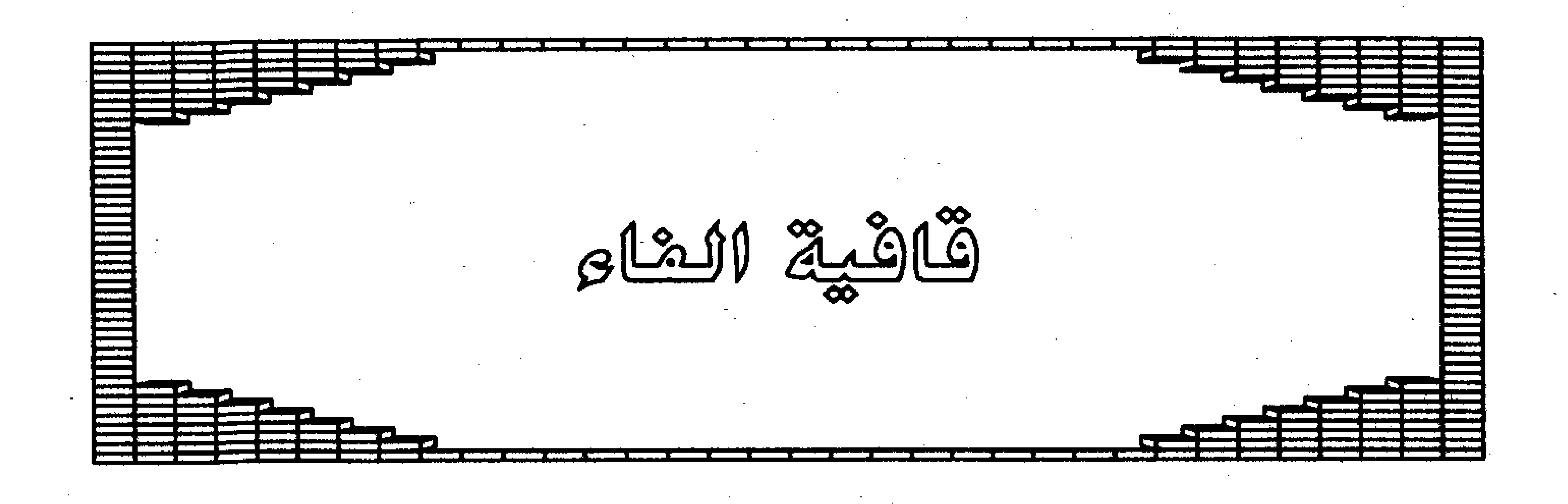
بليغٌ وغيرُ بليغ [الطويل]

وقال[1]:

بَلِيغٌ إذا يَشْكُو إلى غَيْرِها الهَوَى   وإنْ هُوَ لاقَاهَا فَغَيْرُ بَلِيغِ[2]

(1) المصدر: الموازنة: ٥٤.

(2) **لاقاها**: لقيها عن قصد.



قتلني حبُّها

[الطويل]

وقال واصفاً حبّه للبنى بالتميّز والتفرّد عن سواه من العشّاق[1]:

أُحِبُّكِ أَصْنَافاً مِنَ الحُبِّ لَمْ أَجِدْ   لَهَا مَثَلاً فِي سَائِرِ النَّاسِ يُوصَفُ[2]
فَمِنْهُنَّ حُبٌّ لِلْحَبِيبِ وَرَحْمَةٌ   بِمَعْرِفَتِي مِنْهُ بِمَا يَتَكَلَّفُ[3]
وَمِنْهُنَّ أَلَّا يَعْرِضَ الدَّهْرَ ذِكْرُهَا   عَلَى القَلْبِ إلّا كَادَتِ النَّفْسُ تَتْلَفُ[4]
وَحُبٌّ بَدَا بالجِسْمِ واللَّوْنِ ظاهِرٌ   وَحُبٌّ لَدَى نَفْسِي مِنَ الرُّوحِ أَلْطَفُ[5]
وَحُبٌّ هو الدَّاءُ العَيَاءُ بِعَيْنِهِ   لَهُ ذِكَرٌ تَغْدُو عَلَيَّ فَأُدْنَفُ[6]
فَلا أَنَا مِنْهُ مُسْتَرِيحٌ فَمَيِّتٌ   وَلا هُوَ عَلَى مَا قَدْ حَيِيتُ مُخَفَّفُ
فَيَا حُبَّها، ما زِلْتَ حَتَّى قَتَلْتَنِي   وَلا أَنْتَ، إِنْ طالَ البَلا لِيَ مُنْصِفُ[7]

---

(1) المصدر: الأغاني: ٩/ ٢١٥. الزهرة: ٣٣٤.
(2) **أصنافاً**: أنواعاً.
(3) **الرحمة**: الرقة. **يتكلف**: ما يتحمّله من مشقّة.
(4) **تتلف**: تزهق.
(5) **بدا**: ظهر.
(6) **الداء العياء**: المستعصي لا شفاء له. **أدنف**: أمرض.
(7) **منصف**: عادل.

لولا البين لانقطع الهوى

وقال[1]:

لَعَمْرُكَ لولا البينُ لانقطع الهوى   ولولا الهوى ما حنَّ للبَيْنِ آلِفُ

قد كنت أحلفُ جهداً لا أفارِقُها [البسيط]

وقال ليلة رحيل لُبنى بعد طلاقها[2]:

قَدْ قُلْتُ لِلْقَلْبِ لاَ لُبْنَاكَ فَاعْتَرِفِ   واقْضِ اللُّبَانَةَ مَا قَضَّيْتَ وانْصَرِفِ[3]

قَدْ كُنْتُ أحلِفُ جَهْداً لاَ أُفَارِقُهَا   أُفٍّ لِكَثْرَةِ ذَاكَ القِيلِ والحَلِفِ[4]

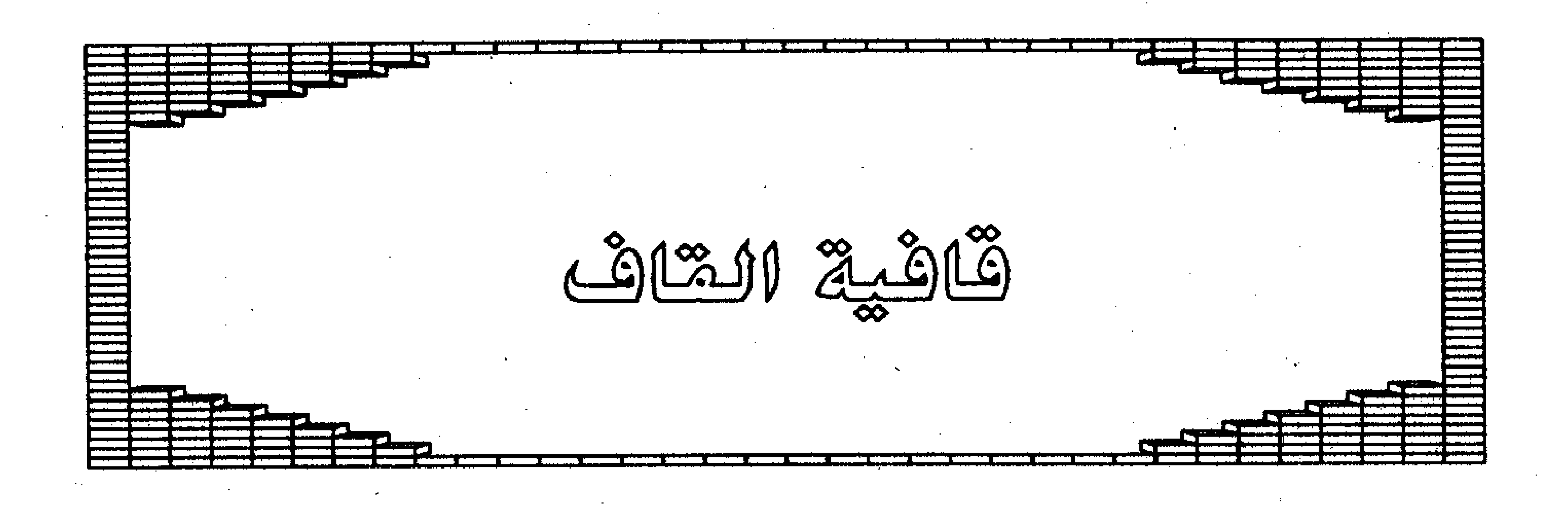
حَتَّى تَكَنَّفَنِي الواشُونَ فَافتُلِتَتْ   لاَ تأْمَنَنْ أَبَداً مِنْ غِشٍّ مُكْتَنِفِ[5]

الحَمْدُ لله قَدْ أَمْسَتْ مُجَاوِرَةً   أَهْلَ العَقِيقِ وأَمْسَيْنَا عَلَى سَرِفِ[6]

حَيٌّ يَمَانُونَ والبَطْحَاءُ مَنْزِلُنَا   هَذَا لَعَمْرُكَ شَمْلٌ غَيْرُ مُؤْتَلِفِ[7]

---

(1) المصدر: لسان العرب: ٢٠٩/١٦. تاج العروس: ١٤٨/٩.
(2) المصدر: الأغاني: ١٨١/٩، معجم ما استعجم: ٧٣٦.
(3) **اللبانة**: الحاجة من غير فاقة.
(4) **القيل**: القول.
(5) **تكنفوا**: أحاطوا. **افتلتت**: فلت منه.
(6) **سرف**: رجل سرف: الفؤاد مخطئه. **العقيق**: واد باليمامة.
(7) **يمانون**: يسكنون باليمن.



كيف السُّلُوّ

[الكامل]

وقال متسائلًا حائراً[1]:

كَيْفَ السُّلُوُّ وَلاَ أَزَالُ أَرَى لَهَا   رَبْعاً كَحَاشِيَةِ اليَمانِي المُخْلَقِ[2]
رَبْعاً لواضِحَةِ الجَبِينِ غَرِيرَةٍ   كَالشَّمْسِ إِذ طَلَعَتْ رَخِيمِ المَنْطِقِ[3]
قَدْ كُنتُ أَعْهَدُهَا بِهِ فِي عِزَّةٍ   وَالعَيْشُ صَافٍ والعِدَى لَم تَنْطِقِ[4]
حَتَّى إِذا نَطَقُوا وآذَنَ فِيهِمُ   دَاعِي الشَّتَاتِ بِرِحْلَةٍ وَتَفَرُّقِ[5]
خَلَتِ الدِّيَارُ فَزُرْتُهَا وكَأَنَّنِي   ذُو حَيَّةٍ مِنْ سُمِّهَا لَم يَفْرَقِ[6]

---

(1) المصدر: مجالس ثعلب: ٢٨٨. تاريخ الإسلام: ٣/ ٦١.

(2) **السلو**: النسيان. **الربع**: الموضع الذي يرتبعون به بالربيع. **الحاشية**: جانب الثوب. **اليماني**: نوع من الثياب، **المخلق**: البالي.

(3) **غريرة**: الأنثى ذات الخلق الحسن. **رخيم المنطق**: سهل المنطق.

(4) **العيش صاف**: طيب.

(5) **آذن**: أعلم، أخبر.

(6) **خلت الديار**: فرغت. **يفرق**: يخاف ويخشى.

طاوعت أعدائي وعاصيت ناصحي [الطويل]

وقال(1):

وقالوا: اَسلُ عن لُبنى، فقد كُنتَ قَبْلَهَا ... بِخَيْرٍ فَلاَ تَنْدَمْ عَلَيْهَا وَطَلِّقِ(2)
فَطَاوَعْتُ أَعْدَائِي وَعَاصَيْتُ نَاصِحي ... وأَقْرَرْتُ عَيْنَ الشَّامِتِ المُتَخَلِّقِ(3)
وَدِدتُ وَبَيْتِ اللهِ أَنّي عَصَيْتُهُمْ ... وَحُمِّلْتُ فِي رِضْوَانِهَا كُلَّ مُوبِقِ(4)
وَكُلِّفْتُ خَوْضَ البَحْرِ والبَحْرُ زَاخِرٌ ... أَبِيتُ عَلَى أَثْبَاجِ مَوْجٍ مُغْرِّقِ(5)
كَأَنّي أَرَى النَّاسَ المُحِبِّينَ بَعْدَهَا ... عُصَارَةَ مَضْلِ الحَنْظَلِ المُتَفَلِّقِ(6)
فَتَكْرَهُ عَيْني بَعْدَهَا كُلَّ مَنْظَر ... وَيَكْرَهُ سَمْعِي بَعْدَهَا كُلَّ مَنْطِقِ(7)

ما ألفيت كابن أبي عتيق [الوافر]

قال قيس يمدح ابن أبي عتيق(8):

جَزَى الرَّحمن أَفْضَلَ مَا يُجَازِي ... عَلَى الإِحْسَانِ خَيْراً مِنْ صَدِيقِ(9)

---

(1) المصدر: الأغاني: ٩/ ١٨٥. تاريخ الإسلام: ٣/ ٦٢.
(2) اسلُ: اِنْسَ.
(3) **المتخلق**: المتصنع.
(4) **وبيت الله**: الواو واو القسم، يقسم بالكعبة المشرفة، **الموبق**: المهلك.
(5) **الأثباج**: ج ثبج، وسط الشيء.
(6) **الفلقة**: شجرة مرة بالحجاز وتهامة.
(7) **هنا يأس ظاهر يبديه قيس بن ذريح.**
(8) المصدر: الأغاني: ٩/ ٢٢٠.
(9) **جازاه**: كافأه.

فَـقَـدْ جَـرَّبْـتُ إِخْـوَانِـي جـمـيـعـاً   فَـمَـا أَلْـفَـيْـتُ كَـابْـنِ أَبِـي عَـتِـيـقِ
سَعَى فِي جَمْعِ شَمْلِي بَعْدَ صَدْعٍ   وَرَأْيٍ حِـذْتُ فـيـهِ عَـنِ الـطَّـرِيـقِ[1]
وَأَطْـفَـأَ لَـوْعَـةً كَـانَـتْ بِـقَـلْـبِـي   أَغَـصَّـتْـنِـي حَـرَارَتُـهَـا بِـرِيـقِـي[2]

تتوق إليك النفس [الطويل]

قال قيس بُعَيد ليلة رحيل لُبنى عنه بعد طلاقها هذه القصيدة التي تتسابُ من أعماقه انسياباً رقيقاً، هامساً بأنّات الجوى وما يخفيه الطوى[3]:

تَـكَـادُ بِـلاَدُ اللهِ يَـا أُمَّ مَـعْـمَـرٍ   بِـمَـا رَحُـبَـتْ يَـوْماً عَـلَـيَّ تَـضِـيـقُ[4]
تُـكَـذِّبـنـي بـالـوُدِّ لُـبْـنَـى وَلَـيْـتَـهـا   تَـكَـلَّـفُ مِـنِّـي مِـثْـلَـهـا فَـتَـذُوقُ[5]
وَلَوْ تَعْلَمِينَ الغَيْبَ أَيْقَنْتِ أَنَّنِي   لَكُمْ والهَدَايَا المُشْعَرَاتِ صَدِيقُ[6]
تَـتُـوقُ إِلَـيْـكِ الـنَّـفْـسُ ثُـمَّ أَرُدُّهَـا   حَـيَـاءً وَمِـثْـلِـي بـالـحَـيَـاءِ حَـقِـيـقُ[7]
أَذُودُ سَـوَامَ الـطَّـرْفِ عَـنْـكِ وَمَـا لَـهُ   عَـلَـى أَحَـدٍ إِلَّا عَـلَـيْـكِ طَـرِيـقُ[8]

---

(1) **صدع**: فرق.
(2) **أغصّتني**: جعلتني أغصّ.
(3) المصدر: الأغاني: ٥/ ١٩٣. الزهرة: ١٨٤. الأمالي: ٢/ ٢٥٧.
(4) **المعمر**: المنزل الكثير الناس والماء والكلأ. رحب: واسع.
(5) **الودّ**: الحب.
(6) **والهدايا المشعرات**: الواو واو القسم، يقسم بالنّعم والبُدن التي تُهدى إلى الحرم وأهله في مكّة أيّام الحج المباركة، والمشعر: موضع مناسك الحج.
(7) **تتوق**: تشتاق.
(8) **أذود**: أدفع.

فَإِنِّي وَإِنْ حَاوَلْتِ صَرْمِي وَهِجْرَتِي ... عَلَيْكِ مِنَ أَحْدَاثِ الرَّدَى لَشَفِيقُ[1]

وَلَمْ أَرَ أَيَّاماً كَأَيَّامِنَا الَّتي ... مَرَرْنَ عَلَيْنَا والزَّمَانُ أَنِيقُ[2]

وَوَعْدُكِ إِيَّانَا - وَلَوْ قُلْتِ عَاجِلٌ - ... بَعِيدٌ كَمَا قَدْ تَعْلَمِينَ سَحِيقُ[3]

وَحَدَّثْتَنِي يَا قَلْبُ أَنَّكَ صَابِرٌ ... عَلَى البَيْنِ مِنْ لُبْنَى فَسَوْفَ تَذُوقُ[4]

فَمُتْ كَمَداً أَوْ عِشْ سَقِيماً فإِنَّمَا ... تُكَلِّفُنِي مَا لا أَرَاكَ تُطِيقُ[5]

أَطَعْتَ وُشَاةً لَمْ يَكُنْ لَكَ فِيهِمُ ... خَلِيلٌ وَلاَ جَارٌ عَلَيْكَ شَفِيقُ[6]

فَإِنْ تَكُ لَمَّا تَسْلُ عَنْهَا فَإِنَّنِي ... بِهَا مُغْرَمٌ صَبُّ الفُؤَادِ مَشُوقُ[7]

يَهِيجُ بِلُبْنَى الدَّاءُ مِنِّي وَلَمْ تَزَلْ ... حُشَاشَةُ نَفْسِي لِلْخُرُوجِ تَتُوقُ[8]

إذا ذُكرت لُبْنى تغشتك نعسةٌ ... ويُثْنِي لكَ الدّاعي بِهَا فَتُفِيقُ[9]

شَهِدْتُ على نَفْسِي بِأَنَّكِ غادَةٌ ... رَدَاحٌ وَأَنَّ الوَجْهَ مِنْكِ عَتِيقُ[10]

وَأَنَّكِ لاَ تَجْزِينَنِي بِصَحَابَةٍ ... وَلاَ أَنا لِلهِجْرَانِ مِنْكِ مُطِيقُ[11]

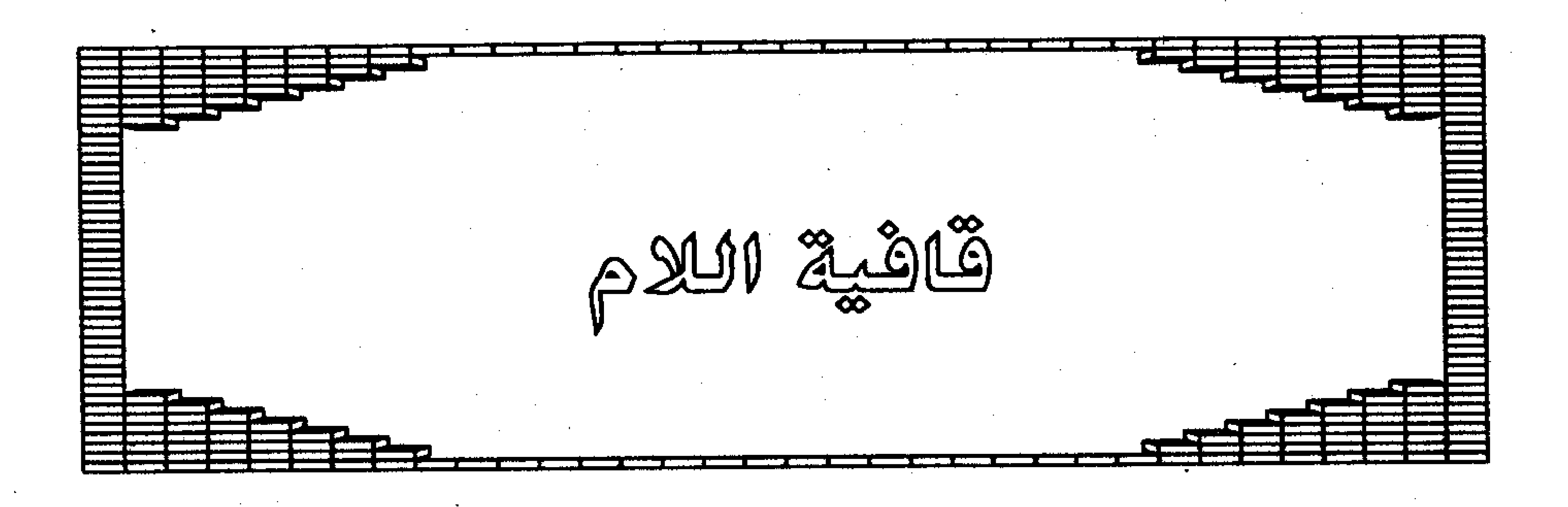
---

(1) **الصَّرم**: القطيعة. **الردى**: الهلاك.
(2) **أنيق**: جميل.
(3) **سحيق**: بعيد.
(4) **البين**: البُعد.
(5) **كمداً**: مريضاً متغيّر اللون، **سقيماً**: مريضاً. **تُطيق**: تَقْدِر على حمله.
(6) **وشى الكلام**: كذب. **الخليل**: الصديق. **الشفقة**: الحنو والرحمة.
(7) **سلا**: نسي. **الصبا**: العاشق. **المشوق**: يحرّك الشوق.
(8) **يهيج**: يثير. **الداء**: داء الحب. **حشاشة**: بقية الروح.
(9) **نعسة**: نوم.
(10) **غادة**: المرأة اللينة البنية الصغير. **رداح**: الثقيلة الأوراك. **عتيق**: الخمر أو اللبن. **الطلاء**: يكنى عن الخمر.
(11) **جزاه**: كافأه.

وَأَنْكِ قَسَّمْتِ الفُؤادَ فَنِصْفُهُ رَهِينٌ وَنِصْفٌ فِي الحِبَالِ وَثِيقُ[1]
صَبُوحِي إذا مَا ذَرَّتِ الشَّمْسُ ذِكْرُكُمْ وَلِي ذِكْرُكُمْ عِنْدَ المَسَاءِ غَبُوقُ[2]
إذا أنا عَزَّيْتُ الهَوَى أو تَرَكْتُهُ أَتَتْ عَبَرَاتٌ بالدُّمُوعِ تَسُوقُ[3]
كَأَنَّ الهَوَى بين الحَيَازِيمِ وَالحَشَى وَبَيْنَ التَّرَاقِي واللَّهَاةِ حَرِيقُ[4]
فَإِنْ كُنْتِ لَمَّا تَعْلَمِي العِلْمَ فاسْأَلِي فَبَعْضٌ لِبَعْضٍ فِي الفَعَالِ فَؤُوقُ[5]
سَلِي هَلْ قَلانِي مِنْ عَشِيرٍ صَحِبْتُهُ وَهَلْ مَلَّ رَحْلِي فِي الرِّفَاقِ رَفِيقُ[6]
وَهَلْ يَجْتَوِي القَوْمُ الكِرامُ صَحَابَتِي إذا اغْبَرَّ مَخْشِيُّ الفِجَاجِ عَمِيقُ[7]
وأَكْتُمُ أَسْرَارَ الهَوَى فأُمِيتُهَا إذا بَاحَ مَزَّاحٌ بِهِنَّ بَرُوقُ[8]
سَعَى الدَّهْرُ والواشُونَ بَيْنِي وبَيْنَها فَقُطِّعَ حَبْلُ الوَصْلِ وَهُوَ وَثِيقُ[9]
هَلِ الصَّبْرُ إلاَّ أن أَصُدَّ فَلاَ أَرَى بِأَرْضِكِ إلاَّ أَنْ يَكُونَ طَرِيقُ[10]
أُرِيدُ سُلُوّاً عَنْكُمُ فَيَرُدُّنِي عَلَيْكِ مِنَ النَّفْسِ الشَّعاعِ فَرِيقُ[11]

---

(1) **الفؤاد**: القلب. **وثيق**: محكم.
(2) **الصّبوح**: كل ما أكل أو شرب صباحاً. **ذرت الشمس**: طلعت. **غبوق**: ما يشرب بالعشي.
(3) **تسوق**: تسيل على خدي بغزارة.
(4) **الحيازم**: ج حيزوم: وسط الصدر. **الحشا**: ما انضمت عليه الضلوع. **اللهاة**: اللحمة المشرفة على الحلق.
(5) **الفعال**: الكرم. **فئوق**: يفوق غيره بما يجود به.
(6) **قلاه**: أبغضه.
(7) **اجتوى**: كره. **مخشيّ**: ما يُخشى منه. **الفجاج**: ج فُجّة: الفرجة بين جبلين.
(8) **المزّاح**: كثير الهزل والمداعبة. **بروق**: سحاب ذو برق لا مطر فيه.
(9) **الواشون**: ج واشٍ: نمّام.
(10) **الصبر**: حبس النفس عن الجزع. **الصد**: الإعراض عنه.
(11) **ردّه**: لم يقبله. **الشّعاع**: التفريق.



أنبئتُ أن لخالي هجمة [البسيط]

وقال[1]:

أُنبِئْتُ أنَّ لِخَالِي هَجْمَةً حُبُساً ... كَأنَّهُنَّ بِجَنْبِ المِشْعَرِ النُّصُلُ[2]

قَدْ كُنْتَ فيما مَضَى قِدْماً تُجَاوِرُنَا ... لاَ نَاقَةٌ لَكَ تَرْعَاهَا وَلاَ جَمَلُ[3]

مَا ضَرَّ خَالِيَ عَمْراً لَوْ تَقَسَّمَهَا ... بَعْضُ الحِيَاضِ وَجَمُّ البِئْرِ مُحْتَفِلُ[4]

بانت لبينى [البسيط]

وقال:

بَانَتْ لُبَيْنَى فَأنْتَ اليَوْم مَتْبُولُ ... وإنَّكَ اليَوْمَ بَعْدَ الحَزْمِ مَخْبُولُ[5]

فَأَصْبَحَتْ عَنْكَ لُبْنَى اليَوْمَ نَازِحَةً ... وَدَلُّ لُبْنَى لَهَا الخَيْرَاتُ مَغْسُولُ[6]

---

(1) المصدر: الأغاني: ٩/ ١٨٠.

(2) **الحُبُس**: الموقوفة في سبيل الله. **المشعر**: الشجر الملتفّ. **النصل**: ج النصيل: الفأس، ونصيل الحجر: وجهه. **هجمة**: الجماعة من الإبل تبلغ ٤٠.

(3) **قِدْماً**: قديماً.

(4) **جَمّ البئر**: تراجع ماؤها. **محتفل**: احتفل الوادي بالسيل: تدفق الماء بملء جنبيه.

(5) **متبول**: سقيم من الحب. **الخبل**: الجنون.

(6) **الدّل**: الدلال.

هَلْ تَرْجِعَنَّ نَوَى لُبْنَى بِعَاقِبَةٍ كَمَا عَهِدْتَ لَيَالِي العِشْقِ مَقْبُولُ[1]
وَقَدْ أَرَانِي بِلُبْنَى حَقَّ مُقْتَنِعٍ والشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ والحَبْلُ مَوْصُولُ[2]
فَصِرْتُ مِنْ حُبِّ لُبْنَى حِينَ أَذْكُرُهَا القَلْبُ مُرتَهَنٌ والعَقْلُ مَدْخُولُ[3]
أَصْبَحْتُ مِنْ حُبِّ لُبْنَى بَلْ تَذَكُّرِها فِي كُرْبَةٍ فَفُؤَادِي اليَوْمَ مَشْغُولُ[4]
والجِسْمُ مِنِّيَ مَنْهُوكٌ لِفرْقَتِهَا يَبْرِيهِ طُولُ سَقَامٍ فَهْوَ مَنْحُولُ[5]
كَأَنَّنِي يَوْمَ وَلَّتْ مَا تُكَلِّمُنِي أَخُو هُيَامٍ مُصَابُ القَلْبِ مَسْلُولُ[6]
أَسْتَوْدِعُ الله لُبْنَى إِذ تُفَارِقُنِي بالرَّغْمِ مِنِّي وَأَمْرُ الشَّيْخِ مَفْعُولُ[7]

أيا قلبُ ويحكَ كُنْ جَلِيداً [الوافر]

فها هو قيس يقول مخاطباً ربع لُبنى سائلًا إيّاه عنها وذلك بعدما طلّقها[8]:

أَلاَ يَا رَبْعَ لُبْنَى مَا تَقُولُ؟ أَبِنْ لِي اليَوْمَ مَا فَعَلَ الحُلُولُ[9]
فَلَوْ أَنَّ الدِّيَارَ تُجِيبُ صَبّاً لَرَدَّ جَوَابِيَ الرَّبْعُ المُحِيلُ[10]

---

(1) **العاقبة**: ج عواقب: آخر كل شيء، الجزاء بالخير.
(2) **الحبل**: يعني: حبل المودّة.
(3) **مدخول**: من دخل عليه فساد في العقل.
(4) **الكربة**: الحزن الشديد.
(5) **منهوك**: منحول، هزيل.
(6) **ولّت**: ذهبت.
(7) **إذ**: عندما. **الشيخ**: يقصد أباه.
(8) المصدر: الأغاني: ٩/ ١٨٧.
(9) **الربع**: الدار، المنزل. **الحلول**: النزول بالمكان.
(10) **المُحيل**: من تحول من حال إلى حال.

وَلَـوْ أَنّـي قَـدِرْتُ غَـدَاةَ قَـالَـتْ: غَـدَرْتَ وَمَاءُ مُـقْـلَـتِـهَـا يَـسِيـلُ[1]
نَحَرْتُ النَّفْسَ حِينَ سَمِعْتُ مِنْهَا مَـقَـالَـتَـهـا وذاكَ لَـهَـا قَـلِـيـلُ
شَفَيْتُ غَلِيلَ نَفْسِي مِنْ فِعَالِي وَلَـمْ أُغْـبِـرْ بِـلاَ عَـقْـلٍ أَجُـولُ[2]
كَـأَنّـي وَالِـهٌ بِـفِـرَاقِ لُـبْـنَـى تَـهِـيـمُ بِـفَـقْـدِ وَاجِـدِهَـا ثَـكُـولُ[3]
أَلاَ يَـا قَـلْـبُ وَيْـحَـكَ كُـنْ جَـلِـيـداً فَـقَـدْ رَحَـلَـتْ وَفَـاتَ بِـهَـا الذَّمِيـلُ[4]
فَـإِنَّـكَ لاَ تُـطِـيـقُ رُجُـوع لُـبْـنَـى إِذَا رَحَـلَـتْ وإِنْ كَـثُـرَ الـعَـوِيـلُ[5]
وَكَـمْ قَـدْ عِـشْـتَ كَـمْ بالقُرْبِ مِـنْـهَـا وَلَـكِـنَّ الـفِـرَاقَ هُـوَ الـسَّـبِـيـلُ[6]
فَـصَـبْـراً كُـلُّ مُـؤْتَـلِـفَـيْـنِ يَـوْمـاً مِـنَ الأَيَّـامِ عَـيْـشُـهُـمَـا يَـزُولُ[7]

وأرواحنا باللّيل تلتقي [الطويل]

وقال والندم يَعْصُرُ قلبه حزناً وأسىً على فراق لُبناهُ[8]:

فـإِنْ تَـكُ لُـبْـنَـى قَـدْ أَتَـى دُونَ قُـرْبِـهَـا حِـجَـابٌ مَـنِـيـعٌ مَـا إِلَـيْـهِ سَـبِـيـلُ[9]
فَـإِنَّ نَـسِـيـمَ الـجَـوِّ يَـجْـمَـعُ بَـيْـنَـنَـا وَنُـبْـصِـرُ قَـرْنَ الشَّـمْـسِ حِـيـنَ تَـزُولُ[10]

---

(1) **مقلتها**: عينها.
(2) **الغليل**: العطشان عطشاً شديداً. **أغبر**: أُقبل على الأمر.
(3) **الواله**: المتحير من شدة الوجد. **ثكول**: التي تفقد أعزّ الناس إليها.
(4) **ويحك**: كلمة ترحم وتوجع. **الجليد**: ذو القوة والصبر. **الذميل**: الليّن من سير الناقة.
(5) **تطيق**: تصبر. **العويل**: البكاء، الصراخ.
(6) **السبيل**: الطريق.
(7) **مؤتلفين**: حبيبين.
(8) المصدر: الأغاني: ٩/ ٢٠١.
(9) **سبيل**: طريق.
(10) **قرن الشمس**: أول ما يبدو منها.

وَأَرْوَاحُنَا بالْلَّيْلِ فِي الحيِّ تَلْتَقِي وَنَـعْـلَـمُ أَنَّـا بِـالـنَّـهَـارِ نَـقِـيـلُ[1]
وَتَـجْـمَـعُـنَـا الأَرْضُ الـقَـرَارُ وَفَـوْقَـنَـا سَـمَـاءٌ نَرَى فِيـهَا الـنُّجُومَ تَـجُـولُ[2]
إِلَى أَنْ يَعُودَ الدَّهْرُ سَلْماً وَتَنْقَضِي تِـرَاتٌ بَـغَـاهَـا عِـنْـدَنَـا وَذُحُـولُ[3]

اليأس للنفسِ المريضة راحة [الطويل]

وقال قيس واصفاً مدى شعوره بالأسى لكون لُبنى أَعرضت عنه ولم تكلِّمه أثناء التقائه بها ذات يوم من أيّام الحجّ المباركة[4]:

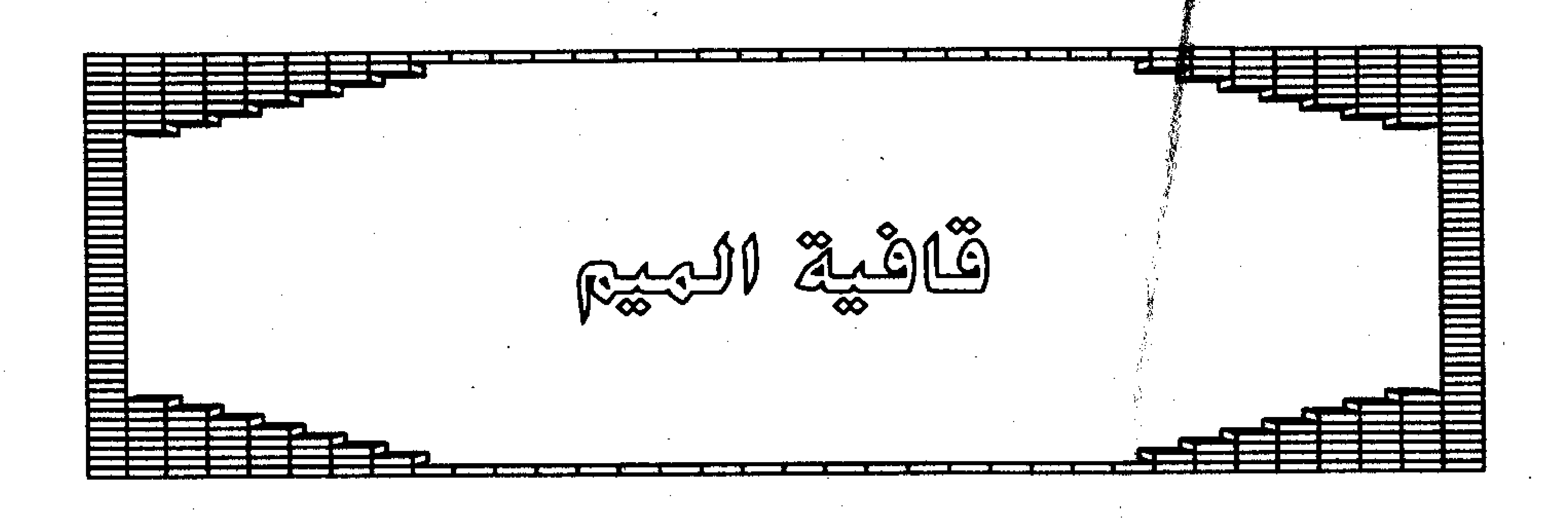
وَيَوْمَ مِنىً أَعْرَضْتِ عَنِّي فَلَمْ أَقُلْ بِحَاجَةِ نَفْسِي عِنْدَ لُبْنَى مَقَالُهَا[5]
وَفِي اليَأْسِ لِلنَّفْسِ المَرِيضَةِ رَاحَةٌ إِذا النَّفْسُ رَامَتْ خُطَّةً لاَ تَنَالُهَا

قتيلٌ صدَّع الحُبُّ قلبه [الطويل]

ويقول أيضاً[6]:

إذا ذُكِـرَتْ لُـبْـنَـى تـأَوَّه واشـتـكـى تـأَوُّهَ مـحـمـومٍ عـلـيـه الـبـلابِـلُ[7]
يـبـيـتُ وَيُـضْـحِـي تـحـت ظلِّ مَـنِيَّـةٍ بـهِ رَمَـقٌ تـبـكـي عـلـيـه الـقـبـائِـلُ
قـتـيـلٌ لِـلُـبْـنَـى صَـدَّعَ الـحُـبُّ قَـلْـبَـهُ وفي الحُبِّ شُغْل لِلمُحِبِّينَ شاغِلُ

(1) **نقيل**: القيلولة: النوم في الظهيرة.
(2) **القرار**: الثبات.
(3) **تِرات**: ربما أراد تراتر أي: شدائد. **بغاها**: طلبها. **ذحول**: الثأر والعداوة.
(4) **أقل**: أتكلم.
(5) المصدر: الأغاني: ٩/ ٢٠١.
(6) المصدر: الأغاني: ٩/ ٢١٣. الأمالي: ١/ ١٦٢.
(7) **البلابل**: الوساوس.



قافية الميم

شتان بين مصحَّحٍ وسقيم [الكامل]

وقال[1]:

ولقد أَرَدتُ الصَّبْرَ عَنْكِ فعاقَني عَلَقٌ بقلبي مِنْ هَواكِ قديمُ[2]
يبقى على حَدَث الزمان وريبه وعلى جفائِكِ إنَّه لكريمُ
فَصَرَمْتِهِ وصَحَحْتِ وهو بدائِهِ شتَّان بين مُصَحَّحٍ وسَقِيم
وأَرَبْتِهِ زمناً فَعَاذَ بحِلمِهِ إنَّ المُحِبَّ عن الحبيب حليمُ[3]

وللحبِّ آياتٌ

وقال[4]:

وللحبِّ آياتٌ تبيِّنُ للفتى شُحوباً، وتعرى من يديه الأشاجمُ[5]

---

(1) المصدر: الأغاني: ٩/ ٢١١. الزهرة: ١٦٦. هذه الأبيات مما ينسب له وتنسب أيضاً إلى ابن الدُمينة وإلى كُثيِّر عزة.

(2) **عاقني**: منعني، **العلق**: الهوى والحب.

(3) **أربته**: المواربة: المخاتلة والمخادعة، **عاذَ**: التجأ واحتمى.

(4) المصدر: لسان العرب: ١٦/ ٢١٥.

(5) **آيات**: علامات.

راحوا يصيدون الظباء [البسيط]

قال: وأنشدنا أبو بكر بن الأنباري قال: أنشدنا عبد الله بن خلف لقيس المجنون[1]:

راحوا يصيدون الظِّباءَ وإنَّني لأرى تَصَيُّدَها عَلَيَّ حَرَاما
أَشْبَهْنَ مِنْكِ سوالِفاً وَمَدامِعاً فأرى عَلَيَّ لها بذاك ذِماما[2]
أَعْزِزْ عَلَيَّ بأَنْ أَرُوعَ شبيهها أو أنْ يَذُقْنَ على يَدَيَّ حِماما[3]

إنّي أرى وضح النهار [الكامل]

وقال[4]:

وَيَقَرُّ عَيْنِي وهي نازِحَةٌ ما لا يَقِرُّ بِعَينِ ذِي الحِلْمِ[5]
أَنّي أرى وأَظُنُّها سترى وَضَحَ النَّهارِ وعاليَ النَّجْمِ[6]

---

(1) المصدر: الأغاني: ٩/ ٢١٧. هذا مما يُنسب لقيس لُبنى، ولقيس ليلى.
(2) السالف: مقدم العنق من معلق القرط إلى قلت الترقوة. المدمع: موضع الدمع.
(3) أعزز علي: عظم عليّ.
(4) المصدر: محاضرات الأدباء: ٢/ ٧٠. هذان البيتان مما ينسب للشاعر.
(5) ذو الحلم: صاحب العقل. تقرّ العين: تبرد فرحاً وسروراً.
(6) وضح النهار: الضوء وبياض الصبح.

يأبى فؤادي النسيان

وقال[1] :

أريدُ سُلواً عن لبينى وذكْرِها فيأبى فؤادي المُسْتَهامُ المتيَّمُ[2]
إذا قلتُ: أسلوها، تعرّضَ ذكرُها وعاودَني مِنْ ذاك ما الله أعلمُ
صَحا كلُّ ذي ودٍّ علمْتُ مكانَهُ سِواي فإنّي ذاهبُ العقْلِ مُغْرَمُ[3]

إلى الله أشكو فَقْدَ لُبنى [الطويل]

ومن بين القصائد الفريدة التي نسبت إلى قيس وإلى سواه من الشعراء العشّاق وخاصّة من بينهم المجنون هذه القصيدة الميمية[4] :

إِلى اللهِ أَشْكُو فَقْدَ لُبْنَى كَمَا شَكَا إِلى اللهِ فَقْدَ الوَالِدَيْنِ يَتِيمُ[5]
يتِيمٌ جَفَاهُ الأَقْرَبُونَ فَجِسْمُهُ نَحِيلٌ وَعَهْدُ الوَالِدَيْنِ قَدِيمُ[6]
بَكَتْ دَارُهُمْ مِنْ نَأْيِهِمْ فَتَهَلَّلَتْ دُمُوعِي فَأَيُّ الجازِعَيْنِ أَلُومُ[7]
أَمُسْتَعْبِرٌ يَبْكِي مِنَ الشَّوْقِ والهَوَى أَمَ آخَرَ يَبكِي شَجْوَهُ وَيَهِيمُ[8]

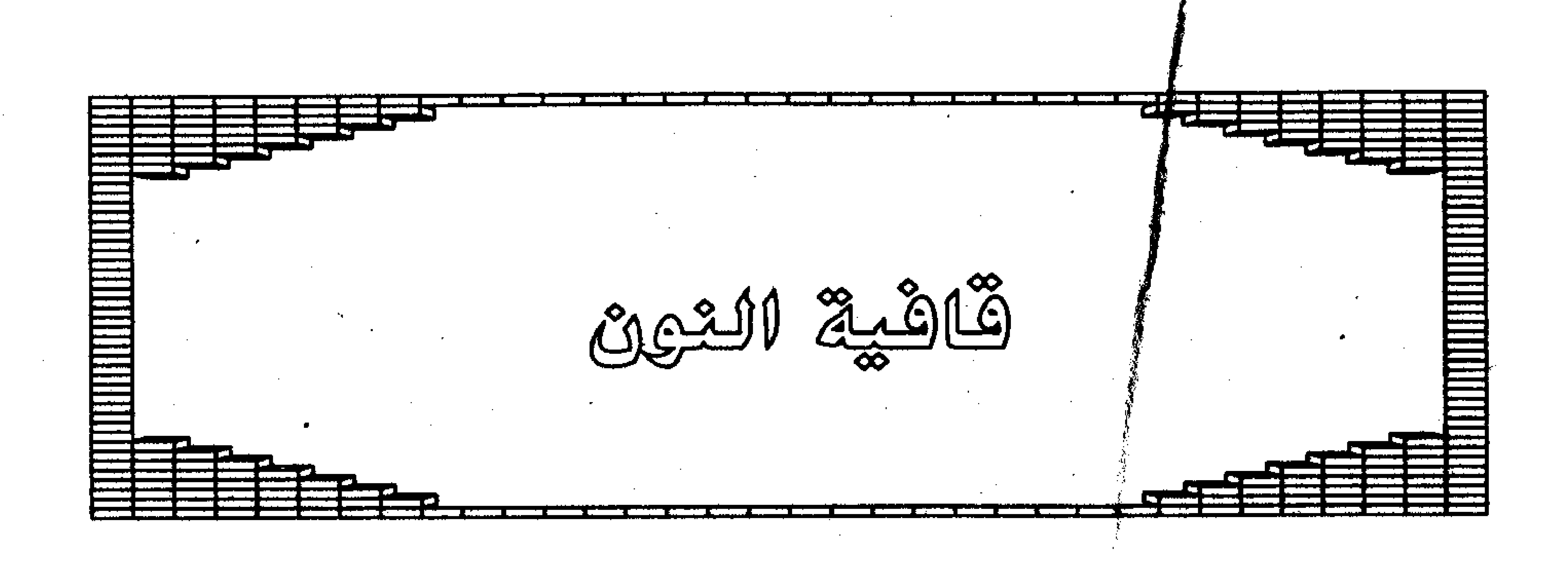
---

(1) المصدر: تاريخ الإسلام: ٣/ ٦٤.
(2) سلواً: نسياناً.
(3) مغرم: محبّ.
(4) المصدر: الأغاني: ٩/ ١٩٨ .الزهرة: ١٦٧ .وهذه الأبيات مما ينسب له.
(5) شكا: تظلّم.
(6) عَهِدَ: حفظ.
(7) نأى: ابتعد. جزع: نفد صبره.
(8) استعبر: سالت عبرته، والعَبرة (بالفتح): الدمعة. الهوى: العشق. الشجو: الحاجة.

تَهَيَّضَنِي مِنْ حُبِّ لُبْنَى عَلائِقٌ وَأَصْنَافُ حُبٍّ هَوْلُهُنَّ عَظِيمُ(1)
وَمَنْ يَتَعَلَّقْ حُبَّ لُبْنَى فُؤَادُهُ يَمُتْ أَو يَعِشْ مَا عَاشَ وَهوَ كَلِيمُ(2)
فإنِّي وإنْ أَجْمَعْتُ عَنْكِ تَجَلُّداً عَلَى العَهْدِ فِيمَا بَيْنَنَا لَمُقِيمُ(3)
وإنَّ زَمَانَنا شَتَّتَ الشَّمْلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ فيه العِدَى لَمَشُومُ(4)
أَفِي الحَقِّ هذا أنَّ قَلْبَكِ فَارِغٌ صَحِيحٌ وَقَلْبِي فِي هَوَاكِ سَقِيمُ(5)

---

(1) تهيضني: عاودني. عَلائق: ج عَلِق: الحبّ والهوى.
(2) كليم: مجروح.
(3) تجلّداً: تصبُّراً.
(4) شتّت: فرّق.
(5) سقيم: مريض.



وإنّي لمفنٍ دمع عيني بالبُكا [الطويل]

وقال[1]:

وإِنّي لَمُفْنٍ دَمْعَ عَيْنِيَ بِالبُكا حِذَارَ الذي لَمّا يكن وهو كائِنُ[2]
وقالوا: غَداً أو بعد ذاك بليلةٍ فِراق حبيبٍ لم يَبِنْ وهو بائِنُ
ما كُنْتُ أَخْشى أَنْ تكونَ مَنِيَّتي بِكَفَّيْكَ إِلّا أَنَّ ما حانَ حائِنُ

يا أكمل الناس [البسيط]

وقال بعيد رحيل لُبنى وانتقالها إلى زوجها الجديد بالمدينة[3]:

بَانَتْ لُبَيْنَى فَهَاجَ القَلْبُ مَنْ بَانَا وَكَانَ مَا وَعَدَتْ مَطْلاً وَلَيَّانَا[4]
وأَخْلَفَتْكَ مُنًى قَدْ كُنتَ تَأْمَلُهَا فَأَصْبَحَ القَلْبُ بَعْدَ البَيْنِ حَيْرَانَا

---

(1) المصدر: الأغاني: ٢/٨٩. الشعر والشعراء: ٣٦٣. وهذه الأبيات مما ينسب للشاعر، ولقيس ليلى.
(2) حذار: من أجل، حذراً.
(3) المصدر: الأغاني: ٩/١٩٩.
(4) هاج: ثار. ليان: مطل.

اللهُ يَـدْرِي وَمَـا يَـدْرِي بِـهِ أَحَـدٌ مَـاذَا أُجمْـجِمُ مِنْ ذِكْرَاكِ أَحْيَانَا[1]
يَـا أَكْـمَـلَ الـنَّاسِ مِنْ قَرْنٍ إِلى قَدَمٍ وأَحْسَنَ النَّاسِ ذَا ثَوْبٍ وَعُرْيَانَا[2]
نِعْـمَ الـضَّجِيعُ بُعَيْدَ النَّوْمِ تَجْلُبُهُ إِلَـيْكَ مُـمْـتَـلِـئـاً نَـوماً وَيَـقْـظَانَا[3]
لاَ بَـارَكَ اللهُ فِـيمَنْ كَانَ يَـحْـسَـبُـكُـمْ إِلَّا عَلَى العَهْدِ حَتَّى كَانَ مَا كَانَا[4]
حتّى استفقت أخيراً بعدما نُكِحَتْ كـأنـمـا كـان ذاكَ الـقـلـب حَـيْـرانـا
قَـدْ زَارَنِـي طَـيْـفُـكُـمْ لَـيْـلاً فَـأَرَّقَـنِـي فَبِتُّ لِلشَّوْقِ أُذْرِي الدَّمْعَ تَـهْـتَانَا[5]
إِنْ تَصْرِمِي الحَبْلَ أَو تُمْسِي مُفَارِقَةً فَـالـدَّهْـرُ يُـحْـدِثُ لِلإِنْـسَـانِ أَلْـوَانَـا[6]
وما أرى مثلكم في النَّاسِ مِنْ بَشَرٍ فـقـد رأيـت بـهِ حـيّـاً ونِـسْـوانـا

ظلمتكِ

[الوافر]

وقال قيسٌ مطلقاً آهاتٍ حرّى أسفاً وندماً على ظلمه لبنى[7]:

أَقُـولُ لِـخُـلَّـتِـي فِـي غَـيْـرِ جُـرْمٍ أَلا بِيْنِي، بِنَفْسِي أَنْتِ! بِيْنِي[8]
فَـوَاللهِ الـعَـظِـيـمِ لَـنَـزْعُ نَـفْـسِـي وَقَـطْـعُ الـرِّجْـلِ مِـنِّي وَالـيَـمِـيـنِ[9]

---

(1) **جمجم الكلام**: لم يُبِنْ معناه.
(2) **قرن**: رأس.
(3) **الضجيع**: المُضاجع.
(4) **العهد**: الوفاء بالوعد.
(5) **تهتان**: نحو من الدِّيمة.
(6) **صرم الحبل**: قطعه.
(7) المصدر: الأمالي: ٢/ ٧٦.
(8) **الخلة**: الصداقة. **البين**: البعد.
(9) **نزع النفس**: خروج الروح.

أَحَبُّ إلَيَّ يَا لُبْنَى فِرَاقاً فَبَكِّي لِلْفِرَاقِ وَأَسْعِدِينِي[1]
ظَلَمْتُكِ بِالطَّلاَقِ بِغَيْرِ جُرْمٍ فَقَدْ أَذْهَبْتُ آخِرَتِي وَدِينِي[2]

لعل لقاها في المنام يكون

وهذه مقطوعة شعرية نسبت أبياتٌ منها لقيس بن ذريح، وهي[3]:

وإني لأهوى النومَ في غير حينه لعلّ لقاءً في المنام يكونُ
تحدّثني الأحلامُ أني أراكمُ فيا ليت أحلام المنام يقينُ
شهدتُ بأني لم أحُلْ عن مودّةٍ وأني بكم لو تعلمين ضنينُ
وأنّ فؤادي لا يلين إلى هوًى سواكِ، وإن قالوا: بلى سيلينُ!

ليس لمخضوبِ البنانِ يمين [الطويل]

وقال فيما ينسب إليه[4]:

تَمَتَّعْ بِها ما ساعفتك ولا تكُنْ عليكَ شجاً في الحَلْقِ حين تبينُ[5]

---

(1) بكّي: هيّجيني للبكاء، أسعديني: أعينيني.
(2) الآخرة: دار البقاء.
(3) المصدر: الأغاني: ٩/ ٢١٤. زهر الآداب: ١/ ٧. وهذا مما يُنسب له.
(4) المصدر: الزهرة: ٨٧. عيون الأخبار: ٤٠/ ١١، [ونحن نربأ بشاعرنا العفيف أن يأتي بمثل هذه المعاني المشينة، ونشكّ في نسبتها إليه، فهي ترسم صورة مهينة لكل امرأة، وتسم النساء بالغدر والسعي وراء اللذات الرخيصة].
(5) الشجا: ما اعترض بالحلق. ساعف: قاضي الحاجة.

وإن هـي أعـطـتـكَ الـلّـيـانَ فـإنّـهـا   لآخَـرَ مِـن خُـلاّنِـهـا سَـتَـلِـيـنُ[1]
وإنْ حَلَفَتْ لا ينقُض النأيُ عَهْدَها   فليس لِمَخْضُوبِ البَنانِ يَمِينُ[2]

ألا يجمعني بها الليلُ [الوافر]

وقيس هو صاحب هذه الصورة الشعرية الحيّة المتحرّكة المُعبِّرة أصدق تعبير عن ميلِه الشديد للالتقاء بليلاه التي ليست سوى لُبناه نفسها التقاء دائماً أبدياً متّصِلاً[3]:

أَلـيس الـلّـيـلُ يـجـمـعـنـي ولـيـلـى   ألا يَـكـفِـي بـذلـك مِـنْ تَـدانِ[4]
تـرى وَضَـحَ الـنَّـهـارِ كـمـا أَراه   ويـعـلـوهـا الـظـلامُ كـمـا عَـلانِـي

وما حائماتٌ حُمْنَ [الطويل]

وقال[5]:

وما حـائـمـاتٌ حُـمْـنَ يـومـاً ولـيـلَـةً   على الماءِ يخشَيْنَ العِصِيَّ حَوانِ[6]
عـوافـي لا يـصـدرن عـنـه لِـوجْـهَـةٍ   ولا هُـنَّ من بَرْدِ الـحِـيـاضِ دَوانِ[7]

---

(1) **الليان**: سرعة الانقياد مع عدم الممانعة.
(2) **نقض العهد**: خان. **مخضوب البنان**: بالحناء.
(3) **المصدر**: محاضرات الأدباء ٢/ ٧٠. وهذا مما ينسب للشاعر.
(4) **تدان**: قُرب.
(5) **المصدر**: الأغاني: ٩/ ١٨٩. زهرة الآداب: ١/ ١٧٦.
(6) **الحائمات**: الدوامات، **حوانٍ**: ملتويات معطوفات.
(7) **عوافي**: ج عوافٍ: كل طالب رزق.

يَرَيْنَ حَبابَ الماءِ والموتُ دُونَهُ   فهُنَّ لأَصواتِ السُّقاةِ رَوانِ(1)
بأَجْهَد منّي حَرَّ شوقٍ ولَوعَةٍ   عليكِ ولكنَّ العَدُوَّ عَدانِي(2)
خليلَيَّ إنّي مَيِّتٌ أَو مُكَلَّمٌ   لبينى بسِرِّي فٱمضيا وذَرانِي(3)
أَنِلْ حاجتي وَحْدِي ويا رُبَّ حاجَةٍ   قضيتُ على هَوْلٍ وخَوْفِ جَنانِ(4)
فإنَّ أَحَقَّ النَّاس أَلّا تجاوِزا   وتَطَّرِحا مَنْ لو يشاءُ شفانِي(5)
ومَنْ قَادَني للموتِ حتى إذا صَفَتْ   مشاربُه السُّمَّ الذُّعافَ سَقَانِي(6)

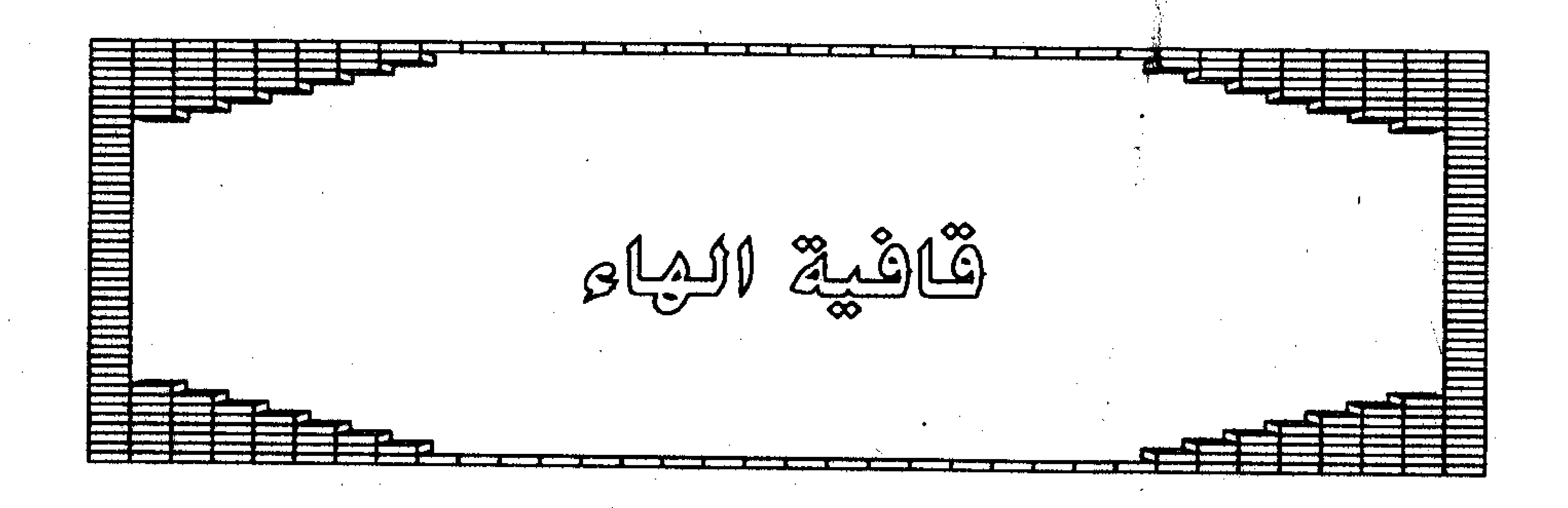
رحلتُ إليه [الوافر]

وممّا ينسب إلى لُبنى من أشعار قولها الذي أجابت به ذات يومٍ عن سؤال قيس عنها وذلك بناءً لزَعْمِ أحدِ الزّاعمين(7):

رحلتُ إليهِ مِنْ بلدي وأهلي   فَجازاني جزاءَ الخائنينا(8)
فمن راني فلا يَغْتَرّ بَعْدِي   بحلو القول أو يبلو الدفينا(9)

---

(1) حباب: الفقاقيع التي تعلو الماء أو الخمر. روان: مديمات النظر.
(2) عداني: ظلمني.
(3) سرّي: كل ما يكتم، ذراني: اتركاني.
(4) الجَنان: القلب.
(5) جاوز: تعدّى. اطرحه: رماه.
(6) صفت المشارب: المشرب: الماء.
(7) المصدر: الأمالي: ٢/٧٦.
(8) جازاني: كافأني.
(9) راني: بمعنى رآني، تخفيف المهموز.



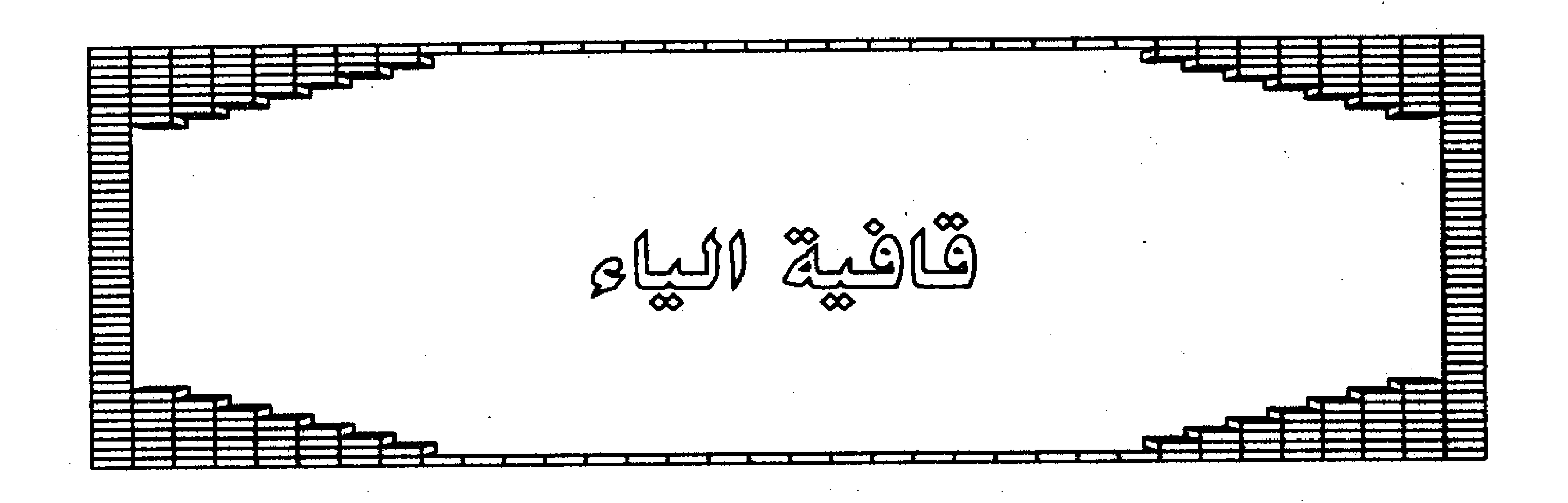
بذكر لبنى مستهامٌ [الوافر]

وقال[1]:

بَكِيتُ، نَعَمْ بَكِيتُ وَكُلُّ إِلْفٍ إِذَا بَانَتْ قَرِينَتُهُ بَكَاهَا[2]
وَمَا فَارَقْتُ لُبْنَى عَنْ تَقَالٍ وَلَكِنْ شِقْوَةٌ بَلَغَتْ مَدَاهَا[3]
وَأَنْتَ بِذِكْرِ لُبْنَى مُسْتَهَامٌ مُعَنًّى حَيْثُ مَا شَحَطَتْ نَوَاهَا[4]

---

(1) المصدر: الأغاني: ٥/٢٠٩.
(2) **الإلف**: الأنيس.
(3) **تقال**: من البغض.
(4) **مستهام**: من الهيام: شدّة العشق، **المعنّى**: المكلّف فوق طاقته، **شحطت**: بعدت.



ألا حي لبنى اليوم [الطويل]

وخاتمة المطاف أثناء شرحنا ودراستنا لأشعار شاعرنا الكبير قيس بن ذريح وهي قصيدته اليائيّة الخالدة المشهورة التي نُسبت أبيات منها كثيرة إليه وإلى مجنون ليلى. وهذه القصيدة مطلعها[1]:

أَلا حَيِّ لُبْنى اليوم إِنْ كُنْتَ غادِيا ... وأَلْمِمْ بِها من قَبْلِ أَنْ لا تَلاقِيا[2]
وأَهْدِ لها منك النصيحة إِنَّها ... قليلٌ ولا تخشى الوشاة الأَدانيا[3]
وقُلْ: إِنَّنِي والرّاقصات إلى مِنًى ... بأَجْبُلِ جَمْعٍ ينتظِرنَ المُنادِيا[4]
أَصُونكِ عن بعض الأُمور مَضَنَّةً ... وأَخشى عليك الكاشحين الأعادِيا[5]
تَساقَطُ نفسي حينَ أَلْقاكِ أَنْفُساً ... يَرِدْنَ فما يَصْدُرنَ إِلّا صوادِيا[6]

---

(1) المصدر: الأغاني: ٩/ ٢٠٧. الأمالي: ١/ ٢١٥. هذه الأبيات مما ينسب لقيس بن ذريح.

(2) **الغادي**: السائر غدوةً، وهي البكرة بين صلاة الفجر وطلوع الشمس. **ألم بها**: زارهم زيارة غير طويلة.

(3) **الواشي**: النمام. **الداني**: كل ما هو قريب.

(4) **منىً**: اسم موضع.

(5) **مضنة**: بُخل. **الكاشح**: مضمر العداوة.

(6) **النفس**: الروح. **يردن**: يأتين الماء. **يصدرن**: يرجعن. **صوادي**: عطشى.

فإن أَحيَ أَو أَهْلَك فلستُ بزائِلِ لكم حافِظاً ما بَلَّ رِيقي لِسانِيا[1]
أَقولُ إذا نَفسِي من الوَجْدِ أَصْعَدَتْ بها زَفْرَةٌ تَعْتَادُني هِيَ ما هِيا
وبين الحشى والنَّحر مِنِّي حرارَةٌ ولَوْعَةُ وَجْدٍ تترك القلبَ ساهِيا
أَلا لَيتَ لُبْنى لَم تَكُنْ خُلَّةً ولَم تَرَني لُبنى ولم أَدرِ ما هِيا[2]
سَلي النَّاسَ هَلْ خَبَّرْتُ سِرَّكِ منهم أَخا ثِقَةٍ أو ظاهر الغِشّ بادِيا[3]
وأَخرُجُ من بين البيوتِ لَعَلَّنِي أُحدِّثُ عنكِ النَّفسَ في السِّرِّ خالِيا[4]
يقول لي الواشون لَمَّا تظاهَروا عليكِ وأَضحى الحَبْلُ للبينِ واهِيا[5]
لعمري لقَبل اليوم حُمِّلت ما ترى وأُنْذِزتَ مِنْ لُبْنى الذي كنتَ لاقِيا[6]
خَليلَيَّ ما لِي قد بليتُ ولا أرى لُبَيْنى على الهجرانِ إلاَّ كما هِيا[7]
أَلا يا غُراب البين ما لك كُلَّما ذكرتُ لُبَيْنى طِرتَ لِي عَن شِمالِيا[8]
أَعِنْدَكَ عِلمُ الغيبِ أَمْ لستَ مُخبِري عَنِ الحَيِّ إلَّا بالذي قد بَدا لِيا
فلا حَمَلَتْ رِجْلاكَ عُشّاً لبيضةٍ ولا زالَ عَظْمٌ مِنْ جناحِكَ واهِيا[9]

---

(1) بلّ: بلَّل.
(2) ألا: حرف: استفتاح، خلّة: محبوبة.
(3) سلي: اسألي.
(4) خالياً: وحيداً.
(5) تظاهر عليه: غلبه. الواهي: غير المتين.
(6) لعمري: أسلوب قسم.
(7) خليليّ: منادى بأداة نداء محذوفة.
(8) ألا: حرف استفتاح، طرتَ عن شمالي: كناية عن التشاؤم.
(9) واهياً: ضعيفاً.

أُحِبُّ من الأَسماءِ ما وافق اسْمَها وأَشْبَهه أو كانَ مِنهُ مُدانِيا[1]
فَما ذُكِرَتْ عندي لها من سمِيَّةٍ مِن النَّاسِ إلّا بَلَّ دَمْعي رِدائِيا[2]
جَزِعْتُ عليها لو أرى لِي مَجزعاً وأفنيتُ دمْعَ العَيْنِ لو كان فانِيا[3]
حياتَك لا تُغْلَب عليها فإنَّه كفى بالذي تلقى لِنَفسك ناهِيا[4]
أَشَوْقاً وَلَمّا تمضِ لِي غيرُ ليلَةٍ رُوَيْدَ الهوى حتَّى يَغُبَّ لياليا[5]
تَمُرُّ اللَّيالِي والشُّهورُ ولا أرى وُلُوعِي بِها يزدادُ إلّا تَمادِيا[6]
وقَدْ يَجْمَعُ اللهُ الشَّتِيتَيْنِ بَعْدَما يَظُنَّانِ كُلَّ الظَّنِّ أنْ تَلاقِيا[7]
فَما عَن نوالٍ مِن لُبَيْنى زِيارتي ولا قِلَّةُ الإلمامِ أن كُنتُ قالِيا[8]
ولَكِنَّها صَدَّتْ وَحُمِّلْتُ مِنْ هوىً لَها ما يؤود الشَّامخاتِ الرَّواسِيا[9]
وإنّي لأسْتَغْشِي وما بيَ نَعْسَةٌ لعلّ خيالاً منكِ يلقى خياليا
ألا ليتَ لُبْنى لم تكن ليَ خلةً ولم ترني لُبْنى ولم أدرِ ما هيا

---

(1) مدانيا: قريب، متقارب.
(2) سَمِيّة: مسمّاة باسمها.
(3) الجزع: نقيض الصبر.
(4) غلب عليه: قهره.
(5) رويد الهوى: امش على مهل. يغبُّ: يأتي زائراً بعد أيام.
(6) ولوعي: محبتي، التمادي: في الأمر: تجاوز الحدود.
(7) الشتيتان: المتفرقان عن بعضهما.
(8) النوال: العطاء. القالي: الكاره.
(9) يؤود: يعوج. الشامخ: الرافع أنفه عزاً. الرواسي: الثابتات.

غرامي بكم يزداد [الطويل]

وهذه أبيات لقيس بن الملوّح فيها أبيات تنسب لقيس بن ذريح[1]:

وخبَّرتُماني أن تيماء منزلٌ   لليلى إذا ما الصيف ألقىٰ المراسيا[2]
أَعُدُّ الليالي والشهور لا أرى   غرامي بكم يزداد إلّا تماديا
فهذي شهورُ الصيفِ عنا قد انقضتْ   فما للنوَى ترمي بليلى المراميا
فيا جَبَلَيْ نعمانَ إنْ آنَ بعدهم   فإنّي سأكسوك الدموع الجواريا[3]
فلو كان واشٍ باليمامة دارُه   وداري بأعلى حضرموت اهتدى ليا[4]

(1) المصدر: الزهرة: ١٢٢. الأغاني: ٢/ ١٠.
(2) تيماء: بلد في الشام.
(3) نعمان: واد بين أدناه ومكة نصف ليلة.
(4) واشٍ: نمّام.

الفهرس